

مَجَلـة شَهـرِيَّـة اسُلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	رمضان المبارك ١٤٣٣ هـ
العدد الثامن	أغسطس ٢٠١٢ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ١ / ١٨ جی، ريوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک باسم:**	دار التاليف والترجمة، ريوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک السنوي:**	في الهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ **تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١**

المنشـور لا يعبـر إلا عـن رأي كاتبـه

محتويات العدد

الافتتاحية

أعمال وعادات تنافي قدسية الشهر الكريم

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

يظل علينا عن قريب شهر رمضان المبارك بنفحاته الإيمانية وأجواءه الروحانية. جعلنا الله من الموفقين لصيام نهاره وقيام ليله، والجد والاجتهاد في كل أعمال الخير والصلاح والبر والتقوى.

ونحمد الله سبحانه وتعالى أننا لا زلنا نرى ونسمع عن كل المجتمعات الإسلامية أنها — رغم الطغيان المادي والاتجاه اللاديني الغالب — ترحب بهذا الشهر الكريم بالحيوية والنشاط، وتستعد له كل الاستعداد، ويسود في هذا الشهر في الأحياء والمناطق الإسلامية جو إيماني، ويغلب على أفراد الأمة روح التعاون والتسامح بعضهم مع بعض، ويلمس فيهم الخير والصلاح، والتخلق بأخلاق إسلامية رفيعة، كل هذا وذاك يبشر بالخير، ويبعث على التفاؤل بمستقبل زاهر للأمة.

ويجب على الدعاة إلى الله في كل مكان أن يضاعفوا جهودهم في هذا الشهر الكريم، ويغتنموا فرصة انفتاح القلوب وكثرة رواد المساجد والاجتماعات الدينية، ويملأوا هذه القلوب إيمانا وإيقانا، ويزودوا عباد الله وإماءه بما يتمكنوا به تغيير وجه حياتهم، ويعيشوا عيشة مؤمن تقي يؤدي ما عليه من حقوق خالقه وخلقه على الوجه الذي يرضاه.

ومن الأمور التي تستحق النظر والعناية تلك العادات والتقاليد التي صاحبت بعض الأعمال التعبدية، فخرجت بها عن رفعتها وسموها، وأحاطت بها بما يقلل من قدسيتها وروحانيتها، وهذه العادات قد تختلف من بلد إلى بلد، ومن مجتمع إلى آخر، ويكون لبعضها انتشار واسع، عبر البلاد والقارات. وليس قصدنا الاستيعاب والإحاطة بكل أنواعها وأشكالها، وإنما القصد المرور على بعض النماذج والأشكال، مما نشاهده ونسمع عنه من حولنا، والبحث عن أسبابها ومسوغاتها، ولفت الأنظار إلى التصدي لها والقضاء عليها. ومن هذه العادات والتقاليد:

ختم القرآن في صلاة التراويح في أيام معدودة:

لا يخفى على أحد أن صلاة التراويح مشروعة في كل ليالي الشهر الكريم، وتتأكد أهميتها ويتضاعف أجرها في العشر الأخير خاصة، حيث فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف

شهر، وكان النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه يجتهد في هذا العشر ما لا يجتهد في غيره، فيشد مئزره، ويوقظ أهله، ويعتكف في المسجد، إلى غير ذلك من العبادات. ثم نلاحظ في بعض المجتمعات الإسلامية وفي بعض مساجدها أنها تهتم بختم القرآن الكريم في صلاة التراويح في ثلاث ليال أو خمس أو ست من أول الشهر، ويعلن عن ذلك عبر الصحف والجرائد بأن المسجد الفلاني الواقع في الحي الفلاني سوف يختم فيه القرآن في صلاة التراويح في ثلاث ليال.. أو..أو..، فيقصد القاصدون هذا المسجد من أماكن مختلفة، ويزدحم المسجد من المصلين، وقد يصف الناس خارج المسجد على الأرصفة والطرق العامة. وقد رسخ في أذهانهم أن ختم القرآن هو المطلوب والمشروع في صلاة التراويح، حيث أن كلهم أو جلهم يكتفون بهذه الأيام الثلاث أو الخمس لأداء سنة القيام، ويظنون أنهم قضوا ما عليهم تجاه هذه العبادة، ثم ينشغلون في تجارتهم ومشاغلهم الأخرى بقية الشهر بما فيه العشر الأخير وليالي القدر. والمسجد يخلو من المصلين، ويرجع إلى حاله الأول في قلة عدد المصلين وقلة الاهتمام بصلاة التراويح التي يصلي فيه الإمام بقصار السور بعد الختمة. يجدر بالذكر أن هناك أناسا —خاصة من التجار وأصحاب المحلات التجارية— يبحثون عن مثل هذه المساجد بجد، ويبذلون قصارى جهدهم لذلك، ومن ناحية أخرى يقوم القائمون على مثل هذه المساجد بنشر إعلانات لهذا الغرض، حتى يطلع هؤلاء وأمثالهم على بغيتهم، وحتى يزداد عدد مصلي ذلك المسجد في التراويح.

لا يخفى على ما في هذه الظاهرة من مخالفات دينية، وخروج بهذه العبادة عن روحها ومغزاها، وعن الصورة التي ارتضاها لها الشرع الحنيف، وتطويع لها حسب الأغراض والأهواء الدنيوية والمادية، يجب على الأئمة أن يتقوا الله في أنفسهم وفي الوظيفة التي خصها الله لهم، ويلتمسوا رضا الله سبحانه لا رضا المأمومين، ويتأسوا بإمام الأئمة وقدوة الأمة صلوات الله وسلامه عليه، في عملهم هذا وفي كل أعمالهم، وليعلموا أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل. وأن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ويجب كذلك على المصلين أن يتقوا الله في أنفسهم وفي عباداتهم، ولا يقدموا بين يدي الله ورسوله، وليعلموا أن الصلاة عبادة من أهم العبادات المشروعة، وصلاة الليل لها روحها وحلاوتها، والعبادات كلها توقيفية، لا اختيار فيها للعبد لا في الكم ولا في الكيف، وكل عمل صالح لا يحل عند الله محل قبول إلا بشرطين: هما الإخلاص والمتابعة. وإنما يتقبل الله من المتقين.

ضرورة فهم القرآن وتدبره:

إن شهر رمضان هو شهر القرآن اختاره الله على غيره وأنزله فيه، وهذا ما أكسبه مزية وخصوصية، ويكثر اهتمام الأمة به في الشهر الكريم، يتلونه ويرتلونه، ويتدبرونه ويقومون به آناء الليل وأطراف النهار، غير أن الملاحظ أن حظ التدبر أقل بكثير من حظ التلاوة والقراءة. ولا شك أن التلاوة والتدبر كلاهما مطلوبان شرعيان، وورد الترغيب المؤكد في الاثنين، ولكن المقصود الحقيقي من إنزال هذا الكتاب هو هداية الناس، فهو هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وهو هدى للمتقين، وهو يهدي للتي هي أقوم، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين، ونحن مأمورون بالتدبر وإمعان النظر فيه، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، وقد اعتبر ابن القيم رحمه الله هجر تدبر القرآن نوعا من أنواع هجر القرآن نفسه، الذي ورد ذكره في قوله تعالى: {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا –الفرقان: ٣٠}.

إن القلب يملأ فرحا وسرورا حين نرى إقبال الناس على القرآن في شهر رمضان إقبالا متزايدا، وانكبابهم على تلاوته ومراجعته وقضاء معظم الأوقات فيه، ولكن هذا القلب يعصر ألما وحزنا حينما نراهم بعيدين كل البعد عن مطلوباته ومقتضياته وعن تعاليمه وهديه. إنهم –ولا شك– يعتبرونه كتابا مقدسا يستحق كل التعظيم والاحترام، فيقبلونه ويضعونه في أغلفة مزخرفة وفي أمكنة مرتفعة، ثم يتلونه ويرددون كلماته وحروفه في أوقات ومناسبات مختلفة، ويعتبرون هذه التلاوة والترديد أكبر حقه عليهم، أما ما يقوله هذا الكتاب وما يهدي إليه، وما يأمر به وما ينهى عنه، وما يطلب منهم وما ينفرهم عنه، فكل هذا في منأى عن اهتمامهم، وخارج عن توجههم، إلا من رحم الله منهم، ولذلك ترى تناقضا واضحا في عاداتهم وسلوكهم ومعاملاتهم، فمنهم من يواظب على تلاوة القرآن وأداء الصلوات، وفي الوقت نفسه يعامل معاملات ربوية، أو يبغض المتدينين من العلماء وطلبة العلم الشرعي، أو يرشي ويرتشي، أو يؤذي جيرانه، أو يقاطع أرحامه، أو يكذب.. يغتاب.. يهمز.. يلمز.. أو يوالي أعداء الله ويعادي أولياء الله.. إلى غير ذلك من التصرفات المخالفة لهدي القرآن الذي هو يحترمه ويقدسه ويواظب على تلاوته.

ألا يدل هذا على جهله بمطلوب القرآن أو تجاهله له؟ ألا يعيش هو في واد، والقرآن يريده في واد آخر؟ أليست حياته ومراد القرآن في طرفي نقيض؟ كيف رضي لنفسه أن يعيش

في هذا الشقاء وفي هذه الظلمات؟ ومنزل القرآن يقول: {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى — طه:٢} أين هو من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي حين سئلت عنه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وعن أخلاقه وهديه فأجابت بأن "خُلقه القرآن"، كانت حياته مرآة صادقة للقرآن، وترجمة حقيقية لمطلوباته ومقاصده، وكان مثالا حيا للإنسان على مواصفات القرآن، وقد ربى على هذا أصحابه وأتباعه، فكانوا إذا تعلموا منه عليه الصلاة والتسليم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعا.

أما المؤمنون بهذا القرآن في هذا الزمان فإنهم —بعد استثناء بعض منهم— اكتفوا باقتناء المصاحف وقراءة كلماتها وترديد حروفها، وغفلوا عن تفهمه وتدبره، وتركوا الوقوف عند أوامره ونواهيه، وأعرضوا عن العمل بتعاليمه وهداياته، مع أنهم يختمونه ختمة تلو أخرى، ويصدق عليهم قول القائل: "رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه" لأنه يقرأ القرآن ويقرأ فيه الآيات التي تلعن الكاذب وتلعن الظالم، وهو متلبس في حياته بالكذب وبالظلم مثلا.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه على ضرورة فهم القرآن وتفسيره: "..العادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟".

على كل حال، القصد من عرض هذه الحكاية الأليمة هو لفت أنظار الدعاة والموجهين إلى هذه الناحية، لبذل ما في وسعهم تجاهها، خاصة في هذا الشهر الكريم الذي ارتبط ارتباطا بهذا الذكر الحكيم.

الإسراف في المأكل والمشرب:

يتقلص أوقات الأكل والشرب في الشهر المبارك لتنحصر في نحو (١٢) ساعة مكان (٢٤) ساعة، ويعني هذا أن الصائم يجد فقط أقل من النصف من وقته اليومي، الذي يستطيع تناول المأكولات والمشروبات فيه، وإذا كان وقت الأكل والشرب انحصر في النصف فمعقول أن يقل مقدار المأكولات والمشروبات ليصل إلى النصف أو قريبا منه. ولكن الملاحظ عكس هذا، فيشاهد أن استهلاك المواد الغذائية في شهر رمضان يزداد لدى المسلمين بشكل عجيب، وأعتقد أن هذه الظاهرة تعم كل المجتمعات الإسلامية في كل مكان من غير استثناء، وقد يكون لهذه الظاهرة أكثر من علة، ولكن يبدو في بادئ النظر أن

الصائم –إلا من عصمه الله– يسيطر على فكره وشعوره أن الامتناع عن الطعام والشراب في نهار رمضان يسبب لديه الضعف والفتور الجسدي، فيريد أن يسد هذا الخلل ويعوض جسمه عما فقد من القوة والوزن بالأكلات المتنوعة المتتالية. ولكنه ينسى أو يتناسى أن ذلك مضر بالصحة بإجماع أهل الطب القديم والحديث. وهو أيضا ينافي أهداف تشريع الصوم، والضعف الذي يعتري جسم الصائم بسبب الامتناع عن المطعومات والمشروبات له أثره البالغ في تهذيب النفس وتربية الأخلاق. ثم إن فوائد الصوم الصحية التي لا مجال لإنكارها قد تنقلب إلى مضار بسبب الإفراط في تناول المأكولات بعد الإفطار، لأنه خروج عن حد الاعتدال، وانغماس في الملذات والملهيات، ونحن مأمورون بالقسط والاعتدال وعدم الإسراف {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا –الأعراف:٣١}، "وما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه.." .

وقد روى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتي بطعام، وكان صائما، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وهو خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطي بها رجلاه بدا رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط –أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا– قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. (صحيح البخاري)

إن موائدنا في الإفطار والسحور، المملوءة بالمأكولات الشهية والمشروبات اللذيذة، لماذا لا تذكرنا بإخواننا في الدين والعقيدة، الذين لا يجدون ما يقيم صلبهم، ويعانون أشد الفقر والبؤس والضيق، ويعوزهم لقمة العيش.

فلنعلم أن رمضان شهر المواساة وشهر الصبر وشهر تربية النفس على الانضباط وعدم تجاوز الحدود في جميع الأمور، ولم يكن الشرع قد أقفل علينا أبواب الأكل والشرب في نهار رمضان لنفتحها على مصاريعها في لياليه. ولا شك أن الصوم عبادة، وفي الوقت نفسه تربية وتعويد للنفس على تحمل المكاره وعلى الصبر عن الملذات مع توفرها.

وفقنا الله للعودة إلى الرشد والصلاح فيما ذكرنا وفيما لم نذكر، وتقبل منا صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا، وآتانا من لدنه رحمة وهيأ لنا من أمرنا رشدا.

***

عبر ومواعظ:

طبائع البشر

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

وزع الله طبائع البشر عليهم، كما وزع أرزاقهم، وجعل لهم عقولا يتخلقون بها، لكي يتعاملوا بينهم في أنحاء المعمورة، حتى تستقيم أحوالهم.. وهذا في مفهومه العام، كله بتقدير الرب الكريم، ولحكمة أرادها، يقول سبحانه: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}. (الحجرات: ١٣)

فهم بتكوينهم الجسماني والأعضاء، ووظائف هذا الجسم متساوون، ماعدا الوظائف التي تتعلق بالرجل، فهي تختلف عما هي لدى المرأة المتعلقة بمهمته في الحياة: {وليس الذكر كالأنثى} (آل عمران: ٣٦)

ولذا نجد الدين الإسلامي في التكليف الشرعي والعبادات، كما أخبر صلى الله عليه وسلم: (بأنهم عباد الله خلقهم الله حنفاء ولكن اجتالتهم الشياطين).. وعلى الفطرة هذه، ثبت على دين الله الحق، من أراد الله لهم السعادة، وظل من كتب الله عليه الشقاوة: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} (القصص: ٥٦).

ومن هذا نجد أن كثيرا من أمم الأرض لم تصلهم جيوش الإسلام في الفتوحات، وقد انقادوا بفطرتهم للإسلام، في أطراف الدنيا، رغم التحديات بصرفهم عنه، كما هي الحال في شرق آسيا، وجنوبها وفي أفريقيا، وأجزاء من غرب القارة الأوربية، وفي الجزر النائيـة، وأكبرها أستراليا، بل في كل مكان على وجه الأرض.

وإذا سأل الإنسان كيف دخل البشر هنالك الإسلام، تجد الجواب: بحسن الخلق وطيبة التعامل مع من احتكوا به من المسلمين، حيث أعجبهم الصدق في التعامل والوفاء بالوعد والأمانة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقد مدحه ربه بقوله سبحانه: {وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم الآية ٤)، فقد سألته عائشة رضي الله عنها (من أدّبك يا رسول الله؟ قال أدبني ربي فأحسن تأديبي) وكانت تقول: كان خلقه القرآن فقد جعل الله التعارف بين البشر، في هذه الحياة: آباء وأولادا، أسرا وقبائل شعوبا وأفخاذا،

وذلك حسب بيئاتهم وأماكن تجمعاتهم، وما كان هذا إلا من طبائع البشر في التآلف، لأن التعارف هو أساس العلاقات البشرية، والتآلف ركيزة التعارف، وتمكين الرابطة والمحبة.

وإذا كان علماء الاجتماع يقولون ممن واقع تعرفهم على طبائع البشر: بأن الإنسان مدنيّ بطبعه، وأنه يحب الاجتماع والمؤانسة، فما ذلك إلا أن من يدرس طباع ما خلق الله على وجه الأرض، من أجناس بشرية، مهما تغيّرت ألوانهم، أو تعددت لغاتهم فإنه لا شك سيجد قاسما مشتركا، بين بني آدم في كل مكان بحب الألفة والمعاشرة، والرغبة في الاندماج مع الآخرين، وعطف بعضهم على الآخرين لأن الإنسان يألف ويؤلف.

وهذا مما يجعل الإنسان يختلف عن الحيوان، الذي يعتدي القويّ على الضعيف، ويأكل الكبير ما هو أصغر منه وجيل الأمان يمتدّ بين البشر على اختلاف مواقعهم من الأرض، والطبع الذي سلكه سبحانه في نفوسهم، يدفعهم للبحث عن سبل المودةِ المؤلّفةِ للقلوب، فيساعد بعضهم بعضا، ويهتم طرف بشئون غيره، وتتقارب المشاعر في شئون الحياة التي تنظمها العقيدة، فيجد صاحب المعتقد الآخر، أن ما تتطلبه النفوس، قد توفر في الإسلام، إذا أحسن عرضه بالقدوة الحسنة، ليجذب الناس لدين هذه سمات أتباعه، فيتبعونه محبة وتأثرا، إذ يقول الشاعر:

الناس للنّاس من بدو وحاضرة　　　بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولئن طفت طباع على طباع، وآثر فئة من البشر التعالي والتعاظم، على فئة أخرى، فما ذلك إلا من اختلال الموازين الباطنية، في وجدان الإنسان، ذلك الميزان الذي لا يضبط توازنه إلا عقل راجح، وحكمة راشدة، ولا يسير العقل، ويرشد الحكمة، إلا التشريع الرباني، والهداية الدينية، التي تجعل على القلب حارسا عن التجاوز، وموجها إلى كل عمل حسن، وهذا قد كفله الإسلام، وأدّب الله رسوله الأمين عليه {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} (آل عمران: ١٥٩)

وقد وقر هذا المدلول في قلوب أتباع نبي الله، عقيدة صافية، وعملا يحتذى، يشعرون من خلاله بما يدعو إليه دينهم الذي شرح الله صدورهم له، وجمع عليه أمرهم، إدراكا لدلالة مقولة الرسول للأنصار (ألم تكونوا ضُلاّلا فهداكم الله بي، ألم أجدكم متفرقين وجمعكم الله بي) وما ذلك إلا أن الإسلام يُرسّخ الإخاء، ويمكّن التعارف، وينمي حب الخير بين الناس، ويجعل القلوب تتقارب.

هذا المبدأ تتأصل على قاعدته المحبة: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله بها كربة من كُرَبِ يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة). (متفق عليه)

وقلوب البشر في تكوينها الخلقي واحدة، شكلا وضخا للدم، وأعضاء داخلية وخارجية وعددا لدقات القلب اليومية، لكن الطباع التي تنبئ عن صاحبها، والأعمال التي تبرز عن جوارحه، مشيا بالقدمين ونوعية الهدف المتجهة إليه، وبطشا باليدين، وما ينتج عن ذلك ونظرا بالعينين، وتأثير ما يؤدي إليه، وسمعا بالأذنين، ونطقا باللسان وكل عضو في الإنسان بما يتركه من أثر لدى الآخرين، من حسن أو قبح وغيرها من أمور تختلف في المقصد والغاية: بين إيجاب وسلب، بحسب ما يوجه إليه ذلك القلب الذي يسميه بعضهم ملك الجوارح، فإن كان هذا القلب مستجيبا لشرع الله، متعمقا في فهم ما يدعو إليه دين الإسلام بما دفع صاحبه إلى الطريق المعبد، وأوصله لداعي الخير، وإلا حصل العكس كما في الحديث: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا إنها القلب)، وفي الحديث الثاني جاء في صفات المؤمنين: الذين يتراحمون فيما بينهم ويعطف بعضهم على بعض كمثل الجسد إذا اشتكى منه، تداعى له الجسد كله بالسهر والحمى. من حديث رواه البخاري، لأن من كان في حاجة أخيه يكون الله في حاجته.

فهذا إحساس دقيق في الجسم البشري، عميق الأثر ويؤصل رابطة الألفة، ويمكن المحبة، أكثر من رابطة الأسرة، أما إذا كان ذلك القلب خاليا من رابطة العقيدة، وضعيفا في الحصيلة الإيمانية، التي تمكّنها رابطة الإسلام فإن الطبائع تتنافر، والمحبة تتحول إلى بغضاء وشحناء، حيث تتحرك العصبيات العمياء، كما قال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسر لا يجبر

فينظلم الضعيف، وتكثر العصبيات المقيتة، التي نهى عنها الإسلام وحذّر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل قوله: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) وقوله تعالى: (ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه، كل المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه، التقوى ههنا، قالها ثلاث مرات للأهمية، وأشار إلى قلبه—وفي رواية: ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه) (رواه مسلم).

فهذه الخصال قاعدة مكينة في التعامل، لأنه يحث على المثالية والخير، وصلاح القلب الذي بصلاحه تصلح الأعمال، وتسعد المجتمعات، ويأمن الناس على أموالهم وأعراضهم، وبالبعد عما أدّب رسول الله: من خصال حميدة أمته يَفسُدُ المجتمع، وتكثر الآفات.

يقول سيد قطب في كتابه التفسيري: في ظلال القرآن، في تفسيره للآية الكريمة التي جاءت في مطلع هذا الحديث: (يا أيها الناس المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل، إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا، ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا، ولا تذهبوا بددا).

يا أيها الناس! والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى، وهو الذي يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق بل يقتضي التعارف والتعاون، للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن، وسائر هذه المعاني، من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد، تتحدّد به القيم، ويعرف به فضل الناس: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

والكريم حقا هو الكريم عند الله، وهو يزنكم عن علم، وعن خبرة بالقيم والموازين {إن الله عليم خبير} وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد، بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون، ألوهية الله للجميع وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد، يتسابق الجميع ليقفوا تحته، لواء التقوى في ظل الله.

وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العنصرية للجنس (في ظلال القرآن ٢٦: ١٤٣).

فسبحانه مقلب القلوب، وموجّه البصائر ما أعدله في حكمه، وما أبدعه في خلقه، فهو سبحانه مصرّف أحوال البشر، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، لأن الواجب إدراك المعاني والتوجيهات من مصدري التشريع في الإسلام: القرآن والسنة، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إذا قرأت: يا أيها الذين آمنوا) فأرعها سمعك: فهو إما خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.

***

فقه السنة:

من مقتضيات الصوم

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه. (رواه البخاري)

قوله (من لم يدع) بفتح التحتية والدال المهملة أي لم يترك (قول الزور) أي الباطل وهو ما فيه إثم، والإضافة بيانية، قاله القاري. وقال الطيبي: الزور الكذب والبهتان، أي من لم يترك القول الباطل من قول الكفر وشهادة الزور والافتراء والغيبة والبهتان والقذف والسب والشتم واللعن وأمثالها مما يجب على الانسان اجتنابها ويحرم عليه ارتكابها (والعمل) بالنصب (به) أي بالزور، يعني الفواحش من الأعمال لأنها في الإثم كالزور. وقال الطيبي: هو العمل بمقتضاه من الفواحش وما نهى الله عنه، وزاد في رواية البخاري في الأدب: والجهل، ولابن ماجه: من لم يدع قول الزور، والجهل والعمل به، فالضمير فى "به" يعود على الجهل لكونه أقرب مذكور، أو على الزور فقط، وإن بعد، لاتفاق الروايات عليه أو عليهما، وأفرد الضمير لاشتراكهما في تنقيص الصوم، قاله العراقي. وقال الحافظ: الضمير في رواية ابن ماجه يعود على الجهل، وفي رواية البخاري يعود على قول الزور، والمعنى متقارب.

والمراد بالجهل السفه. وقيل: أي صفات الجهل أو أحوال الجهل، والمعاصى كلها عمل بالجهل فيدخل الغيبة فيها، وفي الأوسط للطبراني بسند رجاله ثقات من حديث أنس: من لم يدع الخنى والكذب. قال السندي: قيل يحتمل أن المراد من لم يدع ذلک مطلقا غير مقيد بصوم أي من لم يترک المعاصي ماذا يصنع بطاعته، ويحتمل أن المراد من لم يترک حالة الصوم وهو الموافق لبعض الروايات - انتهى. ويشير بذلک إلى ما وقع في رواية للنسائى: والجهل في الصوم (فليس لله حاجة) أي التفات ومبالاة وهو مجاز عن عدم القبول بنفي السبب، وإرادة نفي المسبب وإلا فلا حاجة لله تعالى إلى عبادة أحد (في أن يدع طعامه وشرابه) فإنهما مباحان في الجملة فإذا تركهما وارتكب أمرا حراما من أصله استحق المقت وعدم قبول طاعته في وقت فإن المطلوب منه ترک المعاصي مطلقا لا تركا دون ترک. قال القاضي البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من

كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول، فقوله "ليس لله حاجة" مجاز عن عدم القبول فنفى السبب وأراد المسبب، وإلا فالله تعالى لا يحتاج إلى شيء. وقال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وما ذكر معه، وهو مثل قوله: من باع الخمر فليشقص الخنازير، أي يذبحها ولم يأمره بذبحها، ولكنه على التحذير والتعظيم لاثم بائع الخمر، وكذلك حذر الصائم من قول الزور والعمل به ليتم له أجر صيامه - انتهى.

واعلم أن الجمهور على أن الكذب والغيبة والنميمة لا تفسد الصوم، وعن الثوري والأوزاعي: إن الغيبة تفسده والراجح الأول. نعم هذه الأفعال تنقص الصوم، وقول بعضهم إنها صغائر تكفر باجتناب الكبائر، أجاب عنه الشيخ تقي الدين السبكي بأن في حديث الباب والذي مضى في أول الصوم دلالة قوية لذلك أي لقول الجمهور، لأن الرفث والصخب وقول الزور والعمل به مما علم النهي عنه مطلقا. والصوم مأمور به مطلقا، فلو كانت هذه الأمور إذا حصلت فيه لم يتأثر بها لم يكن لذكرها فيه مشروطة به معنى نفهمه، فلما ذكرت في هذين الحديثين نبهتنا على أمرين: أحدهما زيادة قبحها في الصوم على غيره، والثاني الحث على سلامة الصوم عنها، وإن سلامته منها صفة كمال فيه، وقوة الكلام تقتضي أن يقبح ذلك لأجل الصوم. فمقتضى ذلك أن الصوم يكمل بالسلامة عنها فإذا لم يسلم عنها نقص. ثم قال: ولا شك أن التكاليف قد ترد بأشياء وينبه على أخرى بطريق الإشارة وليس المقصود من الصوم العدم المحض كما في المنهيات، لأنه يشترط له النية بالإجماع. ولعل القصد به في الأصل الإمساك عن جميع المخالفات، لكن لما كان ذلك يشق خفف الله وأمر بالإمساك عن المفطرات ونبه العاقل بذلك على الإمساك عن المخالفات، وأرشد إلى ما تضمنته أحاديث المبين عن الله مراده، فيكون اجتناب المفطرات واجبا واجتناب ما عداها من المخالفات هن المكملات، كذا نقله الحافظ في الفتح (رواه البخاري) في الصوم والأدب وأخرجه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه، وأخرجه البيهقي (ج٤ص٢٧٠) من طريق أبي داود وابن حزم من طريق البخاري.

(من كتاب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦/٤٧٨—٤٨٠)
من مطبوعات الجامعة السلفية، بنارس

***

الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم

في شبه القارة الهندية الباكستانية

(٣) الأستاذ سهيل حسن عبد الغفار

الفصل الثاني: دور العلماء وعامة الشعب في مقاومة هذه الحملات:

فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التأليف والتصنيف:

لقد صنف العلماء المسلمون كتبا كثيرة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المحاولات التي حصلت للنيل من كرامته أو التنقيص من شأنه، إضافة إلى تلك المقالات التي نشرت في الأعداد الخاصة للمجلات التي تهتم بهذا الشأن، نذكر منها:

أولا: الكتب المؤلفة في حجية السنة والرد على شبهات المنكرين:

١- حجية الحديث واتباع الرسول: للشيخ ثناء الله الأمرتسري.

٢- إثبات الخبر في جواب منكري الحديث والأثر: للشيخ الحافظ عبد الستار حسن العمرپوری.

٣- مكانة الحديث في الأحكام الشرعية: للشيخ محمد إسماعيل السلفي.

٤- حجية الحديث: للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي.

٥- نصرة الحديث: للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

٦- تدوين الحديث: للشيخ مناظر أحسن جيلاني.

٧- تاريخ تدوين الحديث: للدكتور محمد زبير الصديقي.

٨- مظاهر وخلفيات فتنة إنكار الحديث: للشيخ افتخار أحمد بلخي.

٩- عظمت حديث: للشيخ عبد الغفار حسن الرحماني.

١٠- إنكار السنة فتنة ومؤامرة: للأستاذ محمد فرمان.

١١- القول الفيصل: للشيخ ماهر القادري.

١٢- القرآن والحديث: للشيخ محمد طيب.

١٣–نظرة عابرة على فتنة إنكار الحديث: للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي.
١٤–حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ميزان القرآن: للشيخ محمد طيب.
١٥–نتائج إنكار السنة: للشيخ محمد سرفراز خان.
١٦–إنكار السنة حق أو باطل: للشيخ صفي الرحمن الأعظمي.
١٧–تفهيم الإسلام: للشيخ مسعود أحمد.
١٨–مكانة السنة التشريعية: للشيخ أبي الأعلى المودودي.
١٩–آئينه برويزيت (مرآة أفكار غلام أحمد برويز): للشيخ عبد الرحمن گيلانى.
٢٠–مسائل اتباع السنة: للشيخ محمد اقبال گيلانى.
٢١–الجهود الفاشلة لجعل روايات الصحيحين حكايات دينية: للشيخ إرشاد الحق الأثري.
٢٢–بصائر السنة: للشيخ سيد محمد أمين الحق.
٢٣–القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: للدكتور خادم حسين إلهي بخش (بالعربية).
٢٤–السنة في مواجهة الأباطيل: للدكتور محمد طاهر حكيم (بالعربية).
٢٥–زوابع في وجه السنة قديما وحديثا: للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد (بالعربية) [١]
ثانيا: المجلات التي تصدت لهذه الفتنة:
١–مجلة ضياء السنة: للشيخين عبد الجبار العمرپورى وضياء الرحمن العمرپورى.
٢–مجلة أهل الحديث من أمرتسر: للشيخ ثناء الله الأمرتسري.
٣–مجلة الاعتصام من لاهور: للشيخ عطاء الله حنيف.
٤–مجلة إشاعة السنة: للشيخ محمد حسين البٹالوى.
٥–مجلة محدث من لاهور: للشيخ الحافظ عبد الرحمن المدني. [٢]
ثالثا: الكتب في قمع فتنة القاديانية:
١ – حركة ختم النبوة: للدكتور بهاء الدين (هذا الكتاب عبارة عن موسوعة ضد القاديانية وحتى الآن طبع منه ١١ مجلدا).

[١] هذه الكتب كلها مطبوعة ومتوفرة في المكتبات ولله الحمد.
[٢] محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث، ص٤٦٦، خادم حسين، القرآنيون وشبهاتهم، ص٤٤٩–٤٧٣.

٢–غاية المرام: للشيخ القاضي سليمان منصور پوري.
٣–القاديانية، دراسات وتحليل: للشيخ إحسان إلهي ظهير (بالعربية والأردية)
٤–القادياني والقاديانية، دراسات وتحليل: للشيخ أبي الحسن علي الندوي.
٥ – محمدية (كتاب الجيب في الرد على أحمدية كتاب الجيب) : للشيخ محمد عبدالله معمار.
٦–إلهامات مرزا: للشيخ ثناءالله الأمرتسري.
٧ – فتنة القاديانية وجهود الشيخ ثناء الله الأمرتسري: للشيخ صفي الرحمن المباركپوري.
٨–الكتاب الفاصل: للشيخ عبدالله الهدين.
٩–لماذا يعتبر القاديانيون كفارا: للشيخ عبد الرحيم أشرف.
١٠– لماذا يعتبر القاديانيون واللاهوريون خارجين عن دائرة الإسلام: للشيخ فضل الرحمن محمد.
١١–محاسبة القاديانية: مجلس تحفظ ختم نبوت.
١٢–شهادة القرآن: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٣–مسلم الوصول إلى إسراء الرسول: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٤–نزول الملائكة والروح إلى الأرض: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٥–مرآة القاديانية: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٦–الخبر الصحيح عن قبر المسيح: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٧–مرقع قادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٨–الحكم الرباني على موت القادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
١٩–موت القادياني الفجائي: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢٠- الرسائل الثلاث: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢١–الرد على المغالطات القاديانية: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢٢–فص خاتم النبوة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢٣–الرسالة المفتوحة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.

٢٤–ختم النبوة: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢٥–دين القادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢٦–ختم النبوة والقادياني: للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوٹی.
٢٧–مذهب القاديانية: للشيخ إلياس برني.
٢٨–القاديانية، أساليب جديدة: للشيخ محمد حنيف الندوي.
٢٩–حكاية القاديان: للشيخ الحافظ محمد إبراهيم كمير پوری.
٣٠–هذه هي الأدلة الدامغة: للأستاذ محمد متين خالد.[١]

رابعا: كتب حول تأويل السنة والرد على العقلانيين:

١–أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين: للشيخ الحافظ ثناء الله الزاهدي.
٢–نظرية الجماعة الإسلامية حول السنة: الشيخ محمد إسماعيل السلفي.
٣ – أفكار غامدي، دراسة وتحليل: للحافظ محمد زبير والحافظ طاهر إسلام عسكري.
٤–عظمت حديث: للشيخ عبد الغفار حسن (مقال حول تأويل الأستاذ الإصلاحي لأحاديث الرجم).[٢]

المبحث الثاني: المناظرات والمباهلات:

أ–المناظرات:

إن من الوسائل التي استعملها العلماء المسلمون ضد الفرق المنحرفة ولقمع فتنتهم وسيلة عقد المناظرات بينهم وبين مناوئيهم بحيث يقدم كل واحد من الفريقين أدلته على مسألة ما ويقدم الخصم أدلته للرد عليها بحضور حكم محايد، وفيما يلي أذكر بعض المناظرات وتواريخها ضد النحلة القاديانية:

١–مناظرة أمرتسر عم ١٩٠٢م بين الشيخ ثناء الله الأمرتسري ومولوي سرور شاه.
٢–مناظرة رامپور عام ١٩٠٩م بين المولوي أحسن أمروهوي وقاسم علي القادياني.

---

[١] مجلة دعوة أهل الحديث، العدد الخاص عن ختم النبوة، ربيع الثاني ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ومقال: خالد ظفر الله، "ببليوغرافيا عن حجية السنة" مجلة محدث، العدد الخاص عن فتنة إنكار السنة، رجب ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
[٢] هذه الكتب كلها مطبوعة ومتوفرة والحمد لله.

٣—مناظرة لدهيانه عام ١٩٠٩م ضد قاسم علي القادياني.
٤—مناظرة أمرتسر عام ١٩٠٩م ضد المولوي غلام رسول.
٥—مناظرة سرگودها عام ١٩١٦م.
٦—مناظرة ميرٹه عام ١٩١٧م.
٧—مناظرة ڈيره غازي خان عام ١٩١٧م.
٨—مناظرة هوشيارپور عام ١٩١٧م.
٩—مناظرة گوجرانواله عام ١٩١٨م.
١٠—مناظرة هوشيارپور عام ١٩١٨م.
١١—مناظرة كرتارپور (مقاطعة جالندهر) عام ١٩١٨م.
١٢—مناظرة جهنگ عام ١٩٢٠م.
١٣—مناظرة ماليركوٹله عام ١٩٢١م.
١٤—مناظرة كپورتهله عام ١٩٢١م.
١٥—مناظرة فيروزپور عام ١٩٢٢م.
١٦—مناظرة ننكانه صاحب عام ١٩٢٢م.
١٧—مناظرة گوجرانواله عام ١٩٢٢م.
١٨—مناظرة لاهور عام ١٩٢٥م.
١٩—مناظرة سرگودها عام ١٩٢٥م.
٢٠—مناظرة گوجرانواله عام ١٩٢٦م.
٢١—مناظرة پٹهان كوٹ عام ١٩٢٨م.
٢٢—مناظرة ساهيوال عام ١٩٢٩م.
٢٣—مناظرة گجرات عام ١٩٣٠م.
٢٤—مناظرة گورداس پور عام ١٩٣٠م.
٢٥—مناظرة گورداس پور عام ١٩٣٢م.
٢٦—مناظرة وزير آباد عام ١٩٣٢م.
٢٧—مناظرة لاهور عام ١٩٣٢م.

٢٨—مناظرة جهلم عام ١٩٣٣م.

٢٩—مناظرة لاهور عام ١٩٣٤م.

٣٠—مناظرة بٹاله عام ١٩٣٤م.

٣١—مناظرة أمرتسر عام ١٩٣٤م.

٣٢—مناظرة ميرٹھ عام ١٩٣٥م.

٣٣—مناظرة لائلپور (فيصل آباد) عام ١٩٤١م.

وهناک مناظرات أخرى وقعت بعد استقلال باكستان بين المسلمين والقاديانيين، ولم يتوقف هذا الصراع إلا عندما قرر البرلمان الباكستاني القاديانية أقلية غير مسلمة.

ب—المباهلات:

والمباهلة في اللغة هي الملاعنة، أي الدعاء بإنزال اللعنة على الكاذب من المتلاعنين، والبهلة اللعنة[1]. وهي مشروعة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل وإلزام الحجة من أعرض عن الحق بعد قيامها عليه، والأصل في مشروعيتها آية المباهلة، وهي قوله تعالى: {فمن حاجک فيه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لنعت الله على الكاذبين}[2].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة هو ما كان من وفد نصارى نجران عند قدومهم المدينة ومحاجتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يعتقدونه من الباطل في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيک ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال: "لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين". فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "قم يا أباعبيدة بن الجراح". فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا أمين هذه الأمة"[3].

---

[1] انظر: يحيى بن شرف النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ، ص ٢٤٧.

[2] سورة آل عمران، الآية: ٦١.

[3] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة نجران، رقم الحديث: ٤٣٨٠.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر بعض ما يستفاد من هذا الحديث، ومن ذلك قوله: "وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء. ومما عُرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة، فلم يقم بعدها غير شهرين.[١]، [٢]

ولقد استعمل المسلمون هذا السلاح ضد القادياني وطلبوا منه الحضور للمباهلة، ولكنه كان دائما يتهرب منها إلا مرة واحدة عندما باهله أحد علماء أهل الحديث وهو الشيخ عبد الحق الغزنوي، وحضر الميرزا القادياني لمباهلة الشيخ مخافة الشماتة وحصلت هذه المباهلة في ١٠/١١/١٣١٠هـ (٢٧/٥/١٨٩٣م) في أمرتسر[٣]، وفي عام ١٨٩٦م تحدى الميرزا العلماء المسلمين وطلب منهم المباهلة لإثبات صدق دعواه، وقبل المسلمون دعوته ولكنه تراجع بعد ذلك[٤]، وهكذا نجد بأن القاديانيين يتراجعون عن مثل هذه المناسبات أو يقدمون شروطا صعبة التنفيذ للتهرب، وذلك لعلمهم بأنهم كاذبون ولكنهم لا يعترفون بذلك.

المبحث الثالث: المسيرات والحملات الشعبية:

لقد قام المسلمون في الهند وباكستان بحركة كبيرة ضد فتنة القاديانية وطالبوا الحكومة باعتبارهم أقلية غير مسلمة، ولكن بسبب نفوذ القاديانيين في الجيش والحكومة لم تستجب لمطالبهم بل حاولت قمعهم بالحديد والنار، فلم يثن ذلك من عزمهم بل ازداد ثباتهم وحاولوا بشتى الطرق احتجاجهم واستنكارهم على هذا الوضع، ومن طرق الاحتجاج استعملوا طريقة الخروج في المسيرات وتقديم أنفسهم للاعتقال والعصيان المدني ضد الحكومة والاضراب العام، وإليك بعضا منها:

أولا: حركة ختم النبوة عام ١٩٥٣م:

لقد قام المسلمون في باكستان بحركة قوية ضد نفوذ القاديانيين في الحكومة وموالاتها لهم وطالبوها بالمطالب التالية:

---

[١] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٨/٩٥.

[٢] من فتوى أحمد عبد الكريم نجيب، موقع صيد الفوائد.

[٣] محمد بهاء الدين، تحريک ختم نبوت، إدارة صراط مستقيم، برمنجهام، بريطانيا، ط١، ٢٠١٠م، ١/١٦٠.

[٤] المصدر السابق ١/٢٤٢.

١–قرار الحكومة بإعلان القاديانية أقلية غير مسلمة.
٢–إقصاء ظفر الله خان القادياني من منصب وزير الخارجية.
٣–فتح بلدة ربوة لجميع الناس.
٤–طرد القاديانيين من جميع المناصب الحكومية المهمة.

فرفض رئيس الوزراء آنذاک خواجه ناظم الدين مطالبهم وقال بأنه في حالة استجابة مطالبهم سوف تغضب الحكومة الأمريكية ولعلها تمنع معوناتها عن باكستان.

فأمهلها مجلس عمل المسلمين لمدة شهر وفي حالة عدم الاستجابة سوف يقوم المجلس بمظاهرات سلمية في أنحاء باكستان حتى تستجاب مطالبهم، فاجتمع زعماؤهم في كراتشي لبحث هذه القضية بعد مضي مدة المهلة وهم: سيد عطاء الله شاه البخاري والشيخ أبو الحسنات محمد أحمد القادري والشيخ عبد الحامد البدايوني والشيخ لال حسين أختر والشيخ مظفر علي الشمسي والآخرون، فاعتقلتهم الحكومة كما اعتقلت الزعماء وأعضاء المجلس في جميع المدن الباكستانية. فثارت بذلک ثائرة المسلمين فخرجوا في مسيرات شعبية ضخمة فتصدت لهم الحكومة بالاعتقالات وفي بعض الأحيان بإطلاق النار عليهم.

وهكذا في جميع المدن كان العلماء والزعماء يعقدون اجتماعات يحضرها عدد كبير من المسلمين ويستمعون إلى خطبهم وكلماتهم ضد فتنة القاديانية ومطالبهم باستئصال هذا الداء الخبيث من باكستان، ولكن بدون أن تكون هناک فائدة مرجوة، ونتيجة لهذه الحركة قتل عشرة آلاف، واعتقل حوالي مائة ألف، وتأثر بذلک حوالي مليون شخص، والحكومة العنيدة لم تحرک ساكنا بل أمرت بتشكيل محكمة لتقصي حقائق هذه الحركة الثورية وكان من أعضاء هذه المحكمة القاضي محمد منير والقاضي محمد رستم كياني، واستمرت جلسات هذه المحكمة ابتداء من ١ / ٧ / ١٩٥٣م إلى ٢٨ / ٢ / ١٩٥٤م وقدمت تقريرها إلى الحكومة ولكن لم تستفد من هذا التقرير الذي كان فيه ميل واضح إلى القاديانية وحاول القضاة اتهام المسلمين بالاختلاف في دعاويهم، وبذلک ذهبت تضحيات المسلمين سدى.(١)

ثانيا: حركة ختم النبوة عام ١٩٧٤م:

كان سبب هذه الحركة أنه خرجت مجموعة من طلاب ينتمون إلى منظمة طلابية وهي جمعية الطلبة المسلمين في رحلة إلى منطقة الحدود الشمالية وفي طريقهم بالقطار مروا

(١) مولانا الله وسايا، تحريک ختم نبوت عام ١٩٥٣م، عالمي مجلس تحفظ ختم نبوت، ملتان، ١٩٩١م، ص ٤٠، ٥٤٤.

بمحطة ربوة التي هي مركز القاديانيين —وكانت آنذاک دولة في داخل دولة—فوزع عليهم القاديانيون مجلاتهم ومنشوراتهم فمزقها الشباب ونادوا بهتافات معادية لهم، فغضب لذلک القاديانيون وعند عودة الطلاب انهالوا عليهم بالضرب المبرح وجرحوهم جراحات شديدة، وعندما وصل القطار إلى محطة فيصل آباد كان في انتظاره العلماء والأطباء فعالجوا الجرحى والمضروبين، وقام العلماء بتهدئة عامة الناس ثم بينوا في مؤتمر صحفي خطورة هذا الإقدام من القاديانيين وطالبوا الحكومة معاقبة الجناة وحل هذه القضية بصورة نهائية، فكانت هذه الشرارة الأولى قامت على إثرها حركة قوية اشترک فيها مع الطلاب العلماء وعامة الناس، وانتشرت في جميع المدن والقرى الباكستانية، وقامت الدولة بالاعتقالات والضرب والفصل من الجامعات، ولكن كلما حاولت الحكومة ضغط الحركة توسعت أكثر فأكثر، وكان سلاح الشباب في هذه الحركة المسيرات والإضرابات ومقاطعة الجامعات، واستمرت هذه الحركة ثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم أعلنت الحكومة بحث قضية القاديانية في البرلمان، ولأجل زيادة الضغط على الحكومة توجهت قوافل الطلاب إلى إسلام آباد وأخيرا في شهر سبتمبر من عام ١٩٧٤م اجتمع البرلمان بشقيه وصوّت النواب بالأغلبية في حق مطلب المسلمين القديم. وهكذا انتهت هذه الحركة بالنجاح وأصبحت القاديانية أقلية غير مسلمة في باكستان. [1]

المبحث الرابع: إصدار الفتاوى:

إن من أهم الأمور التي وضحت قضية القاديانية لدى عام المسلمين هي الفتاوى التي أصدرها العلماء المسلمون في مختلف العصور.

١—إن أول فتوى صدرت بهذا السبب كانت من الشيخ ميان نذير حسين الدهلوي (١٢٢٠—١٣٢٠هـ) وكان ذلک في جواب استفتاء قدمها تلميذه الشيخ محمد حسين البٹالوی بعد أن جمع جميع أقوال الميرزا القادياني الكفرية من كتبه وأصدر فتواه بالدلائل والحجج الدامغة حتى إن المتنبئ الكذاب قد أحس بوخزه الشديد وسطر في كتابه: "لقد كتب المولوي محمد حسين هذه الفتوى وقال لميان نذير حسين الدهلوي أن يختم عليه بخاتمه ويفتي بكفري

---

[1] سليم منصور خالد، طلبه تحريكيں (الحركات الطلابية)، البدر للطبع والنشر، باكستان ص ١٥٨—١٧٥ ومولانا الله وسايا، تحريک ختم نبوت، ص ٣٤٧.

وينشر في عامة المسلمين عن كفري، وقد نشر هذا الكتاب براهين أحمدية قبل فتوى نذير حسين وخاتمه باثنتي عشرة سنة في پنجاب كلها والهند، وبعد اثنتي عشرة سنة أصبح المولوي محمد حسين أول الكافرين، كان هو بادئا للتكفير وكان ميان نذير حسين الدهلوي موقدا لهذه النار بشهرته في الهند كلها". [١]

٢–فتوى الشيخ غلام العلي القصوري (١٢٤١ - ١٣٠٦هـ).

٣–فتوى الشيخ محمد بشير السهسواني (١٢٤٥–١٣٢٣هـ).

٤–فتوى الشيخ محمد جعفر التهانيسري (١٢٥٤–١٣٢٣هـ).

٥–فتوى الشيخ أبي سعيد محمد حسين (١٢٥٦–١٣٣٨هـ).

٦–فتوى الشيخ إسماعيل علي گڑهی (١٢٦٣–١٣١١هـ)

٧–فتوى الشيخ حافظ عبد المنان الوزير آبادي (١٢٦٧–١٣٣٤هـ)

٨–فتوى الشيخ عبد الجبار الغزنوي (١٢٦٨–١٣٣١هـ)

٩–فتوى الشيخ القاضي عبد الأحد الخانپوری (١٢٦٨–١٣٤٧هـ)

١٠–فتوى الشيخ عبد الحق الغزنوي (١٣٣٥هـ)

١١–فتوى الشيخ أحمد الله الأمرتسري.

١٢–فتوى الشيخ أبي الحسن التبتي.

١٣–فتوى الشيخ منشي إلهي بخش اللاهوري.

١٤–فتوى الشيخ عبد الستار الدهلوي.

١٥–فتوى الشيخ القاضي محمد سليمان المنصورپوری (١٢٨٢–١٣٤٩هـ).

١٦–فتوى الشيخ ثناء الله الأمرتسري (١٢٨٧–١٣٦٧هـ). [٢]

وهناك فتاوى كثيرة من علماء جميع الفرق، وكلهم متفقون على تكفير المتنبئ القادياني واعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

(يتبع)

***

---

[١] مجلة الاعتصام، العدد الخاص، ذو القعدة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١٢–١٣.

[٢] المصدر السابق ص١٣–٢٥.

علوم الحديث

صيانة الحديث عن مؤامرات الزنادقة ودسائس الوضاعين

د. محمد إبراهيم المدني
الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن السنة النبوية هي المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي مع كتاب الله، فهي تبين آيات القرآن الكريم، وتفصل أحكامه المجملة وتقيد المطلق، وتخصص العام وتقرر أحكاما لم ينص عليها الكتاب، فلا يمكن أن يتكامل تصور الإسلام بدون الحديث النبوي الشريف. ولهذه الأهمية البالغة عني المسلمون عناية فائقة بحفظه وفهمه، واستمر هذا الاهتمام بالحديث عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل اهتماما لا مثيل له في تاريخ العالم الإنساني.

ومن المأساة الكبرى أن السنة النبوية تعرضت لمحاولات خبيثة للتلاعب فيها والدس عليها، وتشويه حقائقها وطمس معالمها، قام بها بعض الأعداء الذين ظهروا بمظاهر مختلفة تحت أسماء فوق متعددة، فإنهم كانوا يتحلون بالإسلام ظاهرا ويبطنون له ولأهله العداء، فحاولوا استغلال السنة لمآربهم الخبيثة، وأرادوا انتقاصها، وإيقاع الخلط والخبط في الأمة الإسلامية، وإدخال الشكوك والأوهام في أذهان أشبال هذه الأمة، والافتراء على النبي الذي لم ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ونسبوا إليه كذبا وزورا وافتراء وبهتانا، فما اخترعته خواطرهم تشكيكا وتخليطا وإفسادا.

وقد وفق الله خدام حديث نبيه، وحمله لواء السنة الشريفة لإبطال خبائثهم وإظهار مكائدهم وكشف الأستار عن وجوههم، فمحصوا الحديث وميّزوا بين الطيب والخبيث، وردوا عن السنة كيد الكائدين وحفظوها من دسائس الزنادقة ومؤامرات الكذابين، فألفوا تأليفات نافعة وكتبا قيمة، اضمحلت بها خزعبلاتهم وأزهقت أباطيلهم وترهاتهم، فهم كانوا فرسان هذا الدين، الذين حفظوا على المسلمين سنة نبيهم الكريم، ولذلك قطعوا المفاوز والقفار وأتعبوا أنفسهم في طلب الحق في الأمصار، وتحملوا متاعب الأسفار في جميع الأقطار، وفارقوا الأهل والأوطان والديار في طلب السنن والآثار، وتوثيق الأحاديث

والأخبار، حتى فرقوا بين المرفوع والموضوع من الآثار، لئلا يدخل المضل المفسد في الحديث شيئا يضل به وإن فعل، فهم يذبون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكذب.

وهكذا أسهم علماء الإسلام بجهودهم في حفظ السنة فقاموا بوضع قواعد لقبول الحديث. وهي قواعد هذا الفن، وحققوها بأقصى ما في الوسع الإنساني احتياطا لدينهم، فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها، وكذلك توثقوا من حفظ كل راو وقارنوا رواياته بعضها ببعض وبروايات غيره، فإن وجدوا فيه خطأ كثيرا وحفظا غير جيد، ضعفوا رواياته وإن كان لا مطعن عليه في شخصه ولا في صدقه، خشية أن تكون روايته مما خانه فيه الحفظ، لأن الحفظ خوان. وكما اجتهد علماء الحديث في رواية كل ما رواه عنه الرواة، وإن لم يكن صحيحا عندهم ثم اجتهدوا في التوثيق من صحة كل حديث وكل حرف رواه الرواة ونقدوا أحوالهم ورواياتهم، واحتاطوا أشد الاحتياط في النقل فكانوا يحكمون تضعيف الحديث لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية. مما يؤثر في العدالة عند أهل العلم، وأما إذا اشتبهوا في صدقه وعلموا أنه كذب في شيء من كلامه، فقد رفضوا روايته وحكموا على حديثه بأنه موضوع أو مختلق مكذوب، وإن لم يعرف عنه الكذب في رواية الحديث مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب.

فذلك التراث العظيم عرف بعلوم الحديث، فقد بدأوا دراستهم بجمعه وتدوينه وتصنيفه وتاليفه واستتبع قيام دراسات تتعلق بشطريه سنده ومتنه، فنشأ منه علم الجرح والتعديل وعلم الإسناد وعلم الرجال وما شابه ذلك، وحملهم على ذلك حرصهم على تنقية السنة وتمحيصها حتى لا يتسرب دخيل إليها بقصد أو بغير قصد، وقد جعلوا نصب أعينهم أن ما يقومون به حفظ هذا الدين ولهذا نجد بعضهم يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

نرى كثيرا ممن ارتبطوا بالوظائف الدينية ولم يكن لهم دراية بالحديث ولا خبرة به، أن نراهم يقتحمون باب الرواية ولا يقتصرون على الأخذ من الكتب التي جهد مؤلفوها في تخليصها وترتيبها وتهذيبها وتقديمها في أجمل الصور، بل أخذوا من كتب غير موثوق بها ينقلون عنها كل من هب ودب، ويتبعون فيها كل ناعق، ويهرولون وراء كل شاهق، فنقلوا الموضوع وروجوا المكذوب وقاموا بنشره بين العامة، فكانوا بصنيعهم هذا يفسدون أكثر مما يصلحون.

ولا شك أن علماء الحديث قد مهدوا لنا الطرق للوصول إلى السنة الصحيحة وبذلوا سعيهم الحثيث في خدمة السنة والحديث والتمييز بين الطيب والخبيث. فالواجب علينا أن نغترف من بحرهم ونجني من ثمار إنتاجهم ونستفيد مما تركوا لنا من تراثهم. فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.**

الشهر المبارك

إنه رمضان

معالي الدكتور عبد الرحمن السديس
الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف
وإمام وخطيب الحرم المكي

إن رمتم عزا سرمدا فاتقوا الله العظيم الأمجد، واغتبطوا بشهر الصيام تفلحوا اليوم وغدا، فالسعيد من اتقى ربه واهتدى، ولم يضيع شريف الأوقات بددا، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} (الحشر: ١٨).

في مضي المسلم لربه بالآصال والبكور، وفي سيره لمولاه في جميع الأمور، مع ما يكتنف ذلك من الماديات، وما يصاحبه من متغيرات، وما يعيشه كثيرون من فراغ وإجازات وأسفار وسياحة وتنقلات، وما تعانيه الأمة من أحداث ومستجدات، لا غرو أن ينتابه التواني والفتور، والنمطية عبر الشهور، بل لربما الترة والقصور في القيم والعبادات وشتى المجالات.

من أجل ذلك -وما أعظم ما هنالك!- خصنا المولى جل اسمه بأزمنة مباركة ومواسم، بالخيرات والمنح نواسم، اكتنزت حكما لاستنهاض النفوس مقصودة، وغايات باهرات للتشويق للطاعات معقودة، فيها ينعطف المسلم لشيمه التعبدية المحمودة، ويعاود انبعاثته في الخير المعهودة.

ومن تلك الأزمنة المشوقة شهر عظيم شانه، شريف زمانه، تبدى ببهائه إلينا، وأقبل برائع محياه علينا، فيه تدرك النفوس ألق الإحسان، ونداوة اليقين وحلاوة الإيمان، إنه شهر رمضان المبارك الميمون، أقبل ليجدد لنا في كل يوم مسرة وبشرى، وينفحنا أريجا طاب عرفا ونشرا، ويذكي القلوب بالرحمات وقد أصارها لديه أسرى، وكم شد بالتراويح والتهجد منا أزرا وأزرا، وأدلج بنا في أنداء الطهر وأسرى.

إخوة الإيمان، إنه شهر الصيام والقيام، أقبل ليوقظ فينا جمال الرجاء، ولذة الدعاء، وشوق التبتل الصادق الهتان، وتباريح التضرع الفينان، بين يدي الرحمن، ولننهل من كوثره الرقراق كؤوس الهدى الدهاق، فيحيل بإذن الله أرواحنا أزهارا ممرعة بسيوب الغفران، آشية بخمائل الرضوان.

معاشر المسلمين، ضيفكم الكريم هو الفرصة السانحة، والصفقة الربانية الرابحة، للتزود للدار الآخرة بالأعمال الصالحة، وليس إلى مرضاة الرحمن بحمد الله كبير مشقة واقتحام عناء، إن راقب المسلم نفسه وأولاها الحزم والاعتناء، وبادر إلى الطاعة دون تلكؤ أو وناء، معتبرا بمن كانوا بيننا في العام الماضي وقد سرت بهم المنايا القواضي.

فالبدار البدار إلى فضل الله الممنوح قبل فوات الروح، وأجهدوا أنفسكم أن يكون عهد التواني منسوخا، وزمن التسويف مفسوخا. وفي مأثور الحكم: "من أشد الغصص فوات الفرص، ومن أخلد للتواني حصد الأوهام والأماني". وخير الدرر ما صح عن سيد البشر -بأبي هو وأمي- عليه الصلاة والسلام، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره. رواه مسلم. ومن شمّر عن ساعد العبادة والجد انصرف بمديد الفوز والجد.

أيها المؤمنون، في رمضان يفتح الحبور للصائم بابه، ويفوز يوم يوتى باليمين كتابه، وإذا لقي ربه وفّاه حسابه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه" خرّجه الشيخان. وما دعا ربه إلا أجابه، ولم يوصد دونه بابه، يقول عليه الصلاة والسلام: "إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد" أخرجه ابن ماجه وغيره.

وإذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة. أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وصححه.

أمة القرآن، وطوبى لقوم يلقون قلوبهم إلى القرآن بالتدبر والسمع، فتفيض أعينهم من الوجل بالدمع، أزلفهم الله إليه وأرضاهم، وأكرم قلوبهم بالقرآن وأحظاهم.

أمة الصيام والقيام، تلك -وأيم الله، ثم وأيم الله- حقيقة القلوب والأجساد التي ما فطرت إلا لعبادة رب العباد، ولتتملى منح البر الودود في محاريب الطاعات والسجود، فأين المشتاقون لجنات الخلود؟!

ألا فلتجعلوا -معاشر المؤمنين رحمكم الله- لجوارحكم زماما من العقل والنهى، ورقيبا من الورع والتقى، حفظا للصيام عن النقص والانثلام، فأي غناء في أن يدع بعض المسلمين طعامه وشرابه ثم يركب الصعب والذلول للآثام والموبقات والمعاصي والمنكرات؟! لا يرده من الدين وازع، ولا ينزع به من حرمة الشهر نازع. وتحذير اللوالغين

في هذا المكرع الآسن وتنبيها يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب" خرجه النسائي وابن ماجه.

وهل مقاصد الصيام العظام – يا أمة خير الأنام عليه الصلاة والسلام – إلا تهذيب النفوس وترقيتها، وزمها عن أدرانها وتزكيتها، وتقويم جنوحها، وسوس شماسها وجموحها، وذلك هو المراد الأسمى والهدف الأسنى من شرعة الصيام في الإسلام، ألا وهو تحقيق التقوى، يقول سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة: ١٨٣) أي: تحقيقا للتقوى ورجاء، وغاية وابتغاء، فهل يعي ذلك من غفلوا عن مقاصد الصيام الحقيقية وكرعوا في المقاصد الدنيوية الدنيئة من أهل الجشع والطمع والهلع، وزيادة الأسعار وإغلاء السلع، أو من أرباب الشهوات القميئة ممن يتسمرون أمام القنوات والفضائيات، فالله المستعان.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واستقبلوا شهركم بالاغتباط والاستبشار، وكثرة التوبة والاستغفار، فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول: "قد أظلكم شهر عظيم مبارك" خرجه ابن خزيمة وابن حبان في "صحيحيهما".

وما ذاك إلا تهيئة للنفوس، وشحذا للهمم، وتقوية للعزائم عن الفتور والنكوص، فهنيئا لأمتنا الإسلامية بحلول شهر الصيام، ويا بشرى لها بموسم الرحمة والغفران والعتق من النيران، وبارك الله لها في أيامه الغر ولياليه الزهر، وأصلح فيه أحوالها، وحقن دماءها، وحقق وحدتها، وجمع كلمتها على الحق والهدى، إنه جواد كريم.

والدعوة الحراء موجهة للقائمين على وسائل الإعلام كافة أن يتقوا الله سبحانه، ويحسنوا استقبال هذا الشهر الكريم، ويراعوا امكانته وحرمته، ويصوموا عن كل ما يخدش روحانيته وبهاءه، ويكفوا عن التسابق المحموم في بث العفن من القول والفعل.

عند ذلك سيبتسم الأمل بإذن الله في قطوب اليأس، ويومض فجر انكشاف الغمة في دامس الظلام، وتؤوب أمتنا المباركة إلى علياء الريادة والوحدة والقوة، ومعاقد عزتها المتلوة، وما ذلك على الحق جل جلاله بعزيز، ولكي يتحقق ذلك فإن الأمة مطالبة بجد وإلحاح وهي تستقبل الشهر الكريم في كل أمورها ومجالات حياتها بالتوبة والإنابة، والأوبة والاستجابة، والمحاسبة والمراجعة، {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} (الأنفال: ٢٤). ***

آداب إسلامية

آداب الزكاة

(٣-٣)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٣٢- يكره للإنسان أن يسأل الناس لغير ضرورة، فعن حمزة بن عبدالله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم". [١]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأل الناس أموالهم تكثرا، فإنما يسأل جمرا، فليستقل، أو ليستكثر". [٢]

قال النووي: "واختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين أصحهما أنها حرام لظاهر الأحاديث، والثاني: حلال مع الكراهة بثلاثة شروط، أن لا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المسئول، فإن فَقَدَ أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق، والله أعلم." [٣]

٣٣- يحسن بالمرء أن يسارع إلى الخيرات والصدقات، وأن يأكل من عمل يده، ويكتسب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين في موات، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لأن يغدو أحدكم، فيحطب على ظهره، فيتصدق به، ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه، أو منعه، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول". [٤]

٣٤- تحل المسألة لثلاثة: رجل يستدين المال ويدفعه في إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلک، ورجل أصابته آفات، ورجل أصابته فاقة. وما سواه فالسؤال حرام. فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال تحملت حمالة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها، فقال أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لک بها قال: ثم قال: يا قبيصة! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسک، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، أو قال:

---

[١] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسئلة.
[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسئلة.
[٣] شرح صحيح مسلم ١/٣٣٣.
[٤] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة.

سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، أو قال: سدادا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا". [(١)]

٣٥- يجوز للرجل أخذ المال بغير سؤال ولا تطلع ولا حرص عليه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول: قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذه وما جاءک من هذا المال وأنت غير مشرف، ولا سائل فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسک". [(٢)]

وعن ابن السعدي المالكي أنه قال: استعملني عمر بن الخطاب على الصدقة، فلما فرغت منها وأديتها إليه أمر لي بعمالة، فقلت: إنما عملت لله، وأجري على الله، فقال: خذ ما أعطيت، فإني عملت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعمّلني، فقلت: مثل قولک، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأل فكل وتصدق". [(٣)]

٣٦- يجوز للرجل أن يأخذ العوض على أعمال المسلمين سواء كانت لدين، أو لدنيا كالقضاء والحسبة وغيرهما- والله أعلم- لهذا الحديث.

قال النووي: "وفي هذا الحديث جواز أخذ العوض على أعمال المسلمين سواء كانت لدين، أو لدنيا كالقضاء والحسبة وغيرهما والله أعلم. [(٤)]

٣٧- تحرم الزكاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى آله، وهم بنو هاشم وبنو المطلب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كخ كخ ارم بها، أما علمت: أنا لا نأكل الصدقة". [(٥)]

قال النووي: "وفيه تحريم الزكاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى آله: وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، هذا مذهب الشافعي وموافقيه: أن آله صلى الله عليه وسلم هم بنو هاشم، وبنو المطلب، وبه قال بعض المالكية، وقال أبو حنيفة ومالک: هم بنو هاشم خاصة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة.

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع.

(٤) شرح صحيح مسلم ١/٣٣٥.

(٥) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ.

وقال القاضي، وقال بعض العلماء: هم قريش كلها، وقال: اصبغ المالكي: هم بنو قصي، دليل الشافعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد، وقسم بينهم سهم ذوي القربى. وأما صدقة التطوع فللشافعي فيها ثلاثة أقوال أصحها أنها تحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحل لآله، والثاني: تحرم عليه وعليهم. والثالث: تحل له ولهم. وأما موالي بني هاشم وبني المطلب فهل تحرم عليهم الزكاة فيه وجهان لأصحابنا، أصحهما تحرم للحديث الذي ذكره مسلم بعد هذا حديث أبي رافع، والثاني: تحل، وبالتحريم قال أبو حنيفة وسائر الكوفيين وبعض المالكية، وبالإباحة قال مالك، وادعى ابن بطال المالكي أن الخلاف إنما هو في موالي بني هاشم، وأما موالي غيرهم فتباح لهم بالإجماع، وليس كمال قال، بل الأصح عند أصحابنا تحريمهما على موالي بني هاشم وبني المطلب، ولا فرق بينهما، والله أعلم. [١]

٣٨– إن الصدقة إذا قبضها المتصدق عليه زال عنها حكم الصدقة، وحلت لكل أحد ممن كانت الصدقة محرمة عليه فعن عبيد بن السباق قال: أن جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقال: هل من طعام؟ قالت: لا والله يا رسول الله ما عندنا طعام إلا عظم من شاة أعطيته مولاتي من الصدقة فقال: قرّبيه فقد بلغت محلها. [٢]

قال النووي: "وفيه دليل للشافعي وموافقيه أن لحم الأضحية إذا قبضه المتصدق عليه وسائر الصدقات يجوز لقابضها بيعها، ويحل لمن أهداها إليه، أو ملكها منه بطريق آخر، وقال بعض المالكية: لا يجوز بيع لحم الأضحية لقابضها". [٣]

٣٩- يحرم على المنفق أن يمن بما أعطى، فإن المنان هو الخائب والخاسر، الذي لا يدخل الجنة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله –عز وجل– يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفّق سلعته بالحلف الكاذب". [٤]

---

[١] شرح صحيح مسلم ١/٣٤٤.
[٢] شرح صحيح مسلم ١/٣٤٥.
[٣] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب إباحة الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[٤] رواه النسائي ٦٩، المنان بما أعطى ٢٥٦٤، وصححه الألباني.

٤٠–وليس من الأدب أن يرد السائل بدون أن يعطي، فإن لم يكن عنده ما ينفق عليه فبقول جميل، فعن ابن بجيد الأنصاري، عن جدته، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ردّوا السائل، ولو بظلف". [١]

٤١–لا تحل المسألة لغني، ولا لقوي مكتسب، فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار، أن رجلين حدثاه أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة، فقلّب فيهما البصر، وقال محمد: بصره، فرآهما جلدين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شئتما، ولا حظّ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب". [٢]

الزكاة مسائلها وأحكامها

أود الآن أن أقدم فيما يلي المسائل التي تتعلق بالزكاة للقراء الميامين مقتبسا من كتاب "المغني" لابن قدامة المقدسي، لكي يطلعوا عليها، ويعملوا بموجبها، فأقول وبالله التوفيق.

١–لا تجب الزكاة على كافر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "إنک تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله–إلى قوله–فإن هم أطاعوا الذلک فأعلمهم أن الله تعالى قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم". (متفق عليه)

٢–وليس فيما دون خمس من الابل سائمة صدقة، فعن عبد الله بن أنس أن أنسا حدثه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجه إلى البحرين: "بسم الله الرحمن الرحيم". هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والتي أمر الله بها ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمن سألها عن وجهها فليعطها، ومن سأل فوقها فلا يعط: في أربع وعشرين فما دونها من الإبل في كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين، ففيها حقة طروقة الفحل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستا وسبعين إلى تسعين ففيها ابنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الفحل، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة". [٣]

---

[١] رواه النسائي ٧٠باب رد السائل ٢٥٦٥ وصححه الألباني.

[٢] رواه النسائي ٩١مسألة القوي المكتسب (٢٥٩٨) وصححه الألباني.

[٣] أخرجه البخاري ٣/ح ١٤٥٣، ١٤٥٤، وأبو داود ٢/ح ١٥٦٧، والنسائي ٥/١٩.

قال ابن قدامة: "وأجمع المسلمون على أن ما دون خمس من الإبل لا زكاة فيه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: "ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس عليه فيها صدقة إلا أن يشاء ربها" وقال: "ليس فيما دون خمس من الذود صدقة". (متفق عليه) [1]

٣- فإذا ملك خمسا من الإبل فأسامها أكثر السنة ففيها شاة، وفي العشر شاتان، وفي الخمس عشرة ثلاث شياه، وفي العشرين أربع شياه". [2]

٤- فإذا صارت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض إلى خمس وثلاثين. [3] وابنة المخاض التي لها سنة وقد دخلت في الثانية.

٥- وإن أخرج عن الواجب سنا أعلى من جنسه، مثل أن يخرج بنت لبون عن بنت مخاض، وحقة عن بنت لبون أو بنت مخاض، أو أخرج عن الجذعة ابنتي لبون أو حقتين، جاز، لا نعلم فيه خلافا، لأنه زاد على الواجب من جنسه ما يجزي عنه مع غيره، فكان مجزيا عنه على انفراده، كما لو كانت الزيادة في العدد. [4]

٦- ويخرج عن ماشيته من جنسها على صفتها، فيخرج عن البخاتي بختية، وعن العراب عربية، وعن الكرام كريمة، وعن السمان سمينة، وعن اللئام والهزال لئيمة هزيلة، فإن أخرج عن البخاتي عربية بقيمة البختية، أو أخرج عن السمان هزيلة بقيمة السمينة جاز، لأن القيمة مع اتحاد الجنس هي المقصودة. [5]

٧- أن الدين يمنع وجوب الزكاة في الأموال الباطنة رواية واحدة، وهي الأثمان وعروض التجارة، وبه قال عطاء وسليمان بن يسار والحسن والنخعي والليث ومالك والثوري والأوزاعي وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الرأي، وقال ربيعة وحماد بن أبي سليمان والشافعي في الجديد: لا يمنع، لأنه حر مسلم ملك نصابا حولا فوجبت عليه الزكاة كمن لا دَين عليه.

***

[1] المغني ٣/٣٤٤.
[2] المغني ٣/٣٤٥.
[3] المصدر السابق ص٣٥٠.
[4] المصدر السابق ص٣٥٣.
[5] المغني ٣/٣٥٤.

الفقه الإسلامي

حكم زكاة الحلي

عبد الأحد أحسن جميل

معنى الحلي:

الحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلى بفتح الحاء وسكون اللام، كثدي وهو ما يتحلى به الرجل والمرأة ويتزينان به من مصاغ الذهب والفضة.

قال ابن الأثير: الحلي اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة والجمع حلى بالضم والكسر[١].

قال ابن المنظور: الحلي ما تتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة[٢].

صورة المسألة:

لو كان عند الإنسان الذهب والفضة وغير ذلك من الحلي فهل تجب عليه فيه الزكاة إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول سواء كان للتجارة أو للزينة واللبس، أم فيه شئ من المستثنيات.

هل يُضَم الذهب إلى الفضة لحساب النصاب؟ يعنى إذا قلنا أن سبعة مثاقيل من الـذهب تساوى عشرة دراهم من الفضة مثلا فهل يُضَم أحد النقدين إلى الآخر عند حساب الزكاة؟

الصحيح الذى عليه أكثر أهل العلم: أنه لا يُضَم مال إلى مال عند حساب الزكاة.

وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى حديث أنس رضى الله عنه (ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق خشية الصدقة[٣]). فكل جنس مستقل عن الآخر بذاته.

تحرير محل النزاع في مسألة زكاة الحلي:

اتفق الفقهاء على وجوب الزكاة في النقدين في المسكوك وغيره، كالسبائك والتبر والأواني والحلي الحرام كحلي الرجل عدا خاتم الفضة وأدوات الاستعمال والزينة في المنزل. ولا زكاة في الحلي من غير الذهب والفضة كالماس واللؤلؤ والياقوت، وكذلك اتفق الفقهاء على وجوب الزكاة في الحلي إذا كان للتجارة سواء كان من الذهب أو الفضة أو اللؤلؤ والماس والياقوت.

واختلفوا في الحلي المباح للمرأة إذا اتخذت للزينة إلى أربعة أقوال سيأتي ذكرها.

نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على وجوب الزكاة في الحلي المحرم.

١- قال النووي: أما الحلي المحرم فتجب الزكاة فيه بالإجماع[٤]

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٣٥/١.

[٢] لسان العرب لابن المنظور ٩٨٤/٢.

[٣] أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة باب في زكاة السائمة، رقم: ١٥٧٢، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله في التعليق على السنن.

[٤] روضة الطالبين للنووي ٢٦٠/٢، والمجموع للنووي ٤٩١/٥.

٢- وقال الماوردي: وإن اتخذ من الذهب والفضة ما حظر من الحلي والأواني وجبت زكاته في قول الجميع [١].

٣- وقال البغوي: أما الحلي المحظورة فلم يختلفوا في وجوب الزكاة فيه فمن المحظور الأواني والقوارير من الذهب أو الفضة للرجال والنساء جميعا [٢].

وهذه نصوص المذاهب الأربعة والظاهرية في ذلك:

١- الحنفية:

قال في الهداية وفي تبر الذهب والفضة وحليهما وأوانيهما الزكاة. [٣]

٢- المالكية:

قال الإمام مالك: من كان عنده تبر أو حلي من ذهب أو فضة لا ينتفع به للبس فإن عليه فيه الزكاة في كل عام [٤]. وقال في شرح الكبير على مختصر خليل عند قوله إلا محرما قال: كالأواني والمباخر ومكحلة ففيه الزكاة [٥].

٣- الشافعية:

قال النووي: ويزكي المحرم من حلي وغيره لا المباح في الأظهر [٦] وقال: إن كان (الذهب والفضة) لاستعمال محرم كأواني الذهب والفضة وما يتخذه الرجل لنفسه من سوار أو طوق أو خاتم ذهب وجبت فيه الزكاة [٧].

٤- الحنابلة:

قال ابن قدامة في المقنع: فأما الحلي المحرم والآنية وما أعد للكراء أو النفقة ففيه الزكاة. وقال المرداوي: تجب الزكاة في الحلي المحرم والآنية المحرمة بلا خلاف أعلمه [٨].

٥- الظاهرية:

قال ابن حزم: والزكاة واجبة في حلي الفضة والذهب وسواء كان حلي امرأة أو حلي رجل وكذا حلية السيف والمصحف والخاتم وكل مصوغ منهما حل اتخاذه أم لم يحل [٩].

---

[١] الأحكام السلطانية للماوردي ص: ١٢٠.
[٢] شرح السنة للبغوي ٦/٥٠.
[٣] الهداية ١/٥٢٤.
[٤] الموطأ مع شرح الزرقاني ٢/١٠٢.
[٥] حاشية الدسوقي، لحمد الدسوقي ١/٤٦٠.
[٦] نهاية المحتاج إلى شرح المحتاج لمحمد بن أحمد الرملي.
[٧] المجموع للنووي ٦/٣٦.
[٨] الإنصاف للماوداوي ٣/١٣٩.
[٩] المحلى لابن حزم ٦/٩٢.

أقوال العلماء في الحلي المباح المستعمل:

القول الأول: تجب الزكاة في حلي الذهب والفضة وبه قالت الحنفية والظاهرية وهو قول بعض الصحابة كعمر ابن الخطاب[١]، وعبدالله بن مسعود[٢]، وعبدالله بن عمرو بن العاص[٣]، ورواية عن عائشة رضي الله عنها[٤].

وهذا قول سعيد ابن زبير[٥]، وسعيد ابن مسيب[٦]، وعطاء ابن أبي رباح[٧]، ومحمد بن شهاب الزهري[٨]، وعمر بن عبدالعزيز[٩]، وهؤلاء الخمسة لهم رواية مع القول المخالف أيضا. وبه قال محمد بن سيرين[١٠]، ومجاهد[١١]، ومكحول[١٢]، وعلقمة وأسود[١٣]، وإبراهيم النخعي[١٤]، وطاؤس[١٥]، والضحاك[١٦]، وسفيان الثوري[١٧]، والاوزاعي[١٨]، وعبدالله ابن مبارك[١٩]، وابن شبرمة[٢٠]، وداؤد بن علي الظاهري[٢١]، وممن رجح هذا القول الإمام الطحاوي[٢٢]، وابن حزم[٢٣]، وابن المنذر[٢٤]، وفخر الدين الرازي[٢٥]، والصنعاني[٢٦]،

[١] ابن ابي شيبه ٣/١٥٣، والبيهقي ٤/١٣٩.
[٢] الطبراني في الكبير ٩٥٩٤، والدارقطني ٢/١٠٩.
[٣] أبو عبيد في الأموال ٥٣٨، والدارقطني ٢/١٠٧.
[٤] الدارقطني ٢/١٠٧. والبيهقي ٤/١٣٩. وأبو عبيد ٥٣٨.
[٥] مصنف عبدالرزاق ٧٠٦٣. ومصنف ابن أبي شيبة ٣/١٥٤.
[٦] مصنف عبدالرزاق ٧٠٦٠.
[٧] مصنف ابن أبي شيبه ٣/١٥٤.
[٨] أبو عبيد في الأموال ٥٣٩.
[٩] ابن زنجويه ١٧٧٤.
[١٠] أبو عبيد في الأموال ٥٣٩.
[١١] أبو عبيد في الاموال ٥٣٩.
[١٢] ابن أبي شيبة ٣/١٥٤.
[١٣] ابن زنجويه ١٧٧١.
[١٤] مصنف عبدالرزاق ٧٠٥٩.
[١٥] ابن أبي شيبة ٣/١٥٤
[١٦] إبن زنجويه ١٧٧٦.
[١٧] الترمذي ٣/٢٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٣/١٥٤.
[١٨] تفسير القرطبي ٨/١٣٦.
[١٩] الترمذي ٣/٢٠.
[٢٠] المحلى ٦/٩٣.
[٢١] أضواء البيان ٢/٣٩٨. لمحمد الأمين الشنقيطي.
[٢٢] مختصر الطحاوي ٤٩.
[٢٣] المحلى ٦/٩٢.
[٢٤] الترغيب والترهيب ١/٥٥٨. للمنذري.
[٢٥] التفسير الكبير للرازي ١٦/٤٦-٤٧.
[٢٦] سبل السلام ١/٦١٥. للصنعاني.

وعبدالرحمن المباركفوري[1]، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[2]، والشيخ صالح العثيمين[3]، والشيخ عطية محمد سالم[4]، والشيح سيد السابق[5]، وغيرهم.

مذهب الحنفية:

١- قال الإمام أبو حنيفة من كان عنده تبر أو حلي من ذهب أو فضة لا ينتفع بهما للبس أو ينتفع بهما للبس فإن عليه فيه الزكاة في كل عام[6].

٢- وجاء في الهداية وفي تبر الذهب والفضة وحليهما وأوانيهما الزكاة[7].

٣- وقال الكاساني: تجب الزكاة في الذهب المضروب والتبر المصوغ والحلي[8].

مذهب الظاهرية:

قال ابن حزم: والزكاة واجبة في حلي الفضة والذهب وسواء كان حلي إمرأة أو حلي رجل وكذالك حلية السيف والمصحف والخاتم وكل مصوغ منهما حل اتخاذه أم لم يحل[9].

القول الثاني: لا تجب الزكاة في حلي الذهب والفضة وبه قالت المالكية والشافعية والحنابلة وبعض من الصحابة كأنس رضي الله عنه[10] وجابر رضي الله عنه[11]، وابن عمر رضي الله عنه[12]، وعائشة رضي الله عنها في رواية[13]، وأسماء رضي الله عنها[14]. وبه قال الحسن البصري رحمه الله[15] والشعبي رحمه الله[16] وطاؤس في رواية[17] وسعيد ابن مسيب في رواية[18] واسحاق ابن

---

[1] تحفة الأحوذي للمباركفوري: ٣/٣٤.
[2] فتوى رقم ١/١٥٢٨ بتاريخ ١٤٠٦/٦/٧هـ.
[3] رسالة في زكاة الحلي لمحمد بن صالح العثيمين ص:٤.
[4] زكاة الحلي على المذاهب الأربعة ص:٨٢. لعطية محمد سالم.
[5] فقه السنة، ص:٢٠٤-٢٠٥
[6] الحجة على أهل المدينة لمحمد الشيباني ١/٤٤٨.
[7] الهداية ١/٥٢٤. وفتح القدير لابن الهمام ٢/٢١٥-٢١٦.
[8] البدائع والصنائع للكاساني ٢/١٨.
[9] المحلى لأبن حزم ٦/٩٢.
[10] البيهقي في السنن الكبرى ٤/١٣٨.
[11] ابن أبي شيبة ٢/٣٣١. وعبد الرزاق في المصنف ٧٠٤٦.
[12] ابن أبي شيبة ٢/٣٥٥. وعبد الرزاق في المصنف ٧٠٤٧.
[13] ابن أبي شيبة ٢/٣٨٤. وعبد الرزاق ٧٠٥١. والبيهقي ٤/١٣٨.
[14] الدارقطني ٢/١٠٩، ابن أبي شيبة ٢/٣٨٣. والبيهقي ٤/١٨٤.
[15] مصنف ابن أبي شيبه ١٥٥/٣١ وابن زنجويه ١٧٩٠.
[16] أبو عبيد في الأموال ٥٤١. وابن زنجويه ١٧٩٢.
[17] مصنف عبد الرزاق ٧٠٥٠.
[18] أبو عبيد في الاموال ٥٤١. وابن زنجويه ١٧٩٣.

راهويه[١] وأبو ثور[٢] ورجحه ابن خزيمه[٣] وأبو عبيد[٤] والذهبي[٥] والشوكاني[٦] ومفتي ديار السعودية محمد ابن ابراهيم[٧]. وبه قال الإمام القرضاوي إذا لم يكن فيه إسراف وتبذير[٨] وغيرهم من العلماء.

مذهب المالكية:

١- قال الإمام مالك: أما التبر والحلي المكسور الذي يريد أهله إصلاحه ولبسه فإنما هو بمنزلة المتاع الذي يكون عند أهله فليس على أهله فيه زكاة[٩].

٢- ونقل ابن القاسم عن الإمام مالك كل حلي هو للنساء اتخذنه للبس فلا زكاة عليهن فيه[١٠].

٣- وقال خليل في مختصره: ولا زكاة في عين... ولا مال رقيق ومدين وسكة وصياغة وجودة وحلي وإن تكسر وإن لم يتهشم ولم ينو عدم إصلاحه أو كان لرجل أو كراء إلا محرما أو معدا العاقبه أو صداق أو منويا به التجارة[١١].

مذهب الشافعية:

١- نقل عن الشافعي في هذه المسألة قولان: قول بإيجاب الزكاة في الحلي وقول بعدم ذلك. فالقول الأول كان يقول به في القديم ثم استخار الله تعالى فيه فرجع عنه. قال الشافعي في الأم: وقد قيل في الحلي صدقة وهذا ما استخير الله عز وجل. قال الربيع: قد استخار الله عز وجل فيه وأخبرنا وليس في الحلي زكاة[١٢].

٢- وقال في مختصر المزني: قال الشافعي وللمرأة أن تحلي ذهبا أو ورقا ولا أجعل في حليهما الزكاة[١٣].

---

[١] الترمذي ٣/٢٠.
[٢] القفال في حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء ٣/٨٣.
[٣] صحيح ابن خزيمه ٤/٣٤.
[٤] أبو عبيد في الأموال ٥٢١.
[٥] كتاب الكبائر للذهبي ص: ٣٣.
[٦] السيل الجرار للشوكاني ٢/٦١.
[٧] فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن إبراهيم ٤/٩٥.
[٨] فقه الزكاة ليوسف القرضاوي: ١/٢٧٣.
[٩] الموطأ للإمام مالك ١/٢٥٠-٢٥١.
[١٠] المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن قاسم عن مالك. ١/٢٤٥.
[١١] المختصر لخليل ص: ٦٢.
[١٢] الأم للشافعي ٢/٣٥.
[١٣] المختصر المزني ١/٢٣٨-٢٣٩.

٣- وقال النووي: وإن كان استعماله مباحا كحلي النساء وخاتم الفضة للرجل وغير ذلك ففي وجوب الزكاة فيه قولان مشهوران: أصحهما لا تجب كما لا تجب في ثياب البدن والأثاث وعوامل الإبل والبقر[١].

مذهب الحنابلة:

١- نقل عن الأحمد روايتان حكاهما المرداوي. الأولى: تجب الزكاة. والثانية: تجب الزكاة إذا لم يعار ولم يلبس[٢].

٢- قال أبو داؤد: سمعت أحمد قال الحلي ليس عندنا فيه زكاة وسمعته مرة أخرى قال: زكاته أن يعار ويلبس[٣].

٣- وقال إبن قدامة: وليس في حلي المرأة زكاة إذا كان مما تلبسه أو تعيره[٤].

القول الثالث: زكاة الحلي عاريته. وبه قال بعض من الصحابة والتابعين منهم عبد الله ابن عمر رضي الله عنه[٥] وجابر بن عبد الله رضي الله عنه[٦] سعيد ابن مسيب[٧] والشعبي[٨] الحسن البصري[٩] وقتادة[١٠] وبه قال الإمام أحمد في رواية[١١] وهذا القول رجحه ابن القيم في الطرق الحكمية[١٢].

التنبيه: الرد على هذا القول سيأتي في ضمن المناقشات والردود إن شاء الله.

القول الرابع:

تجب الزكاة في الحلي مرة واحدة. وهذا مروي عن أنس رضي الله عنه فإنه قال: إذا كان يعار ويلبس فإنه يزكى مرة واحدة[١٣].

الرد على هذا القول: لم يعلم لها مثيل في مال زكوي مع قيام الموجب فيقال لمن يستدل بها إن موجب تزكيته في المرة الأولى في السنة الأولى موجود بعينه في السنوات التي تليها فما الذي منع وجوبها بعد أن وجبت.[١٤] *** (يتبع)

---

[١] المجموع للنووي ٥/٤٨٩-٤٩٠.
[٢] الإنصاف للمرداوي ٣/١٣٨.
[٣] المسائل لأبي داؤد ص: ٧٨.
[٤] المغني لابن قدامة ٣/٩.
[٥] البيهقي ٤/١٤٠.
[٦] مصنف ابن أبي شيبه ٣/١٥٥. وابن زنجويه ١٧٩٤.
[٧] البيهقي ٤/١٤٠. وابن زنجويه ١٧٩٧.
[٨] أبو عبيد في الأموال ٥٤١. ومصنف ابن أبي شيبة ٣/١٥٥.
[٩] أبو عبيد في الأموال ٥٤١.
[١٠] أبو علي الحراني في تاريخ الرقه.
[١١] مسائل ابن هاني ١/١١٣.
[١٢] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ٢٦١.
[١٣] البيهقي ٤/١٣٨. ابن زنجويه ١٧٩٦.
[١٤] زكاة الحلي على المذاهب الأربعة لعطية محمد سالم ص: ٦٢.

الحدود وحكمها

صهيب حسن بن فضل حق المباركفوري

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذا بحث موجز يشتمل على معرفة الحدود وحكمها في ضوء الكتاب والسنة، فأقول وبالله التوفيق:

تعريف الحدود:

الحدود: جمع حد، وهو لغة: المنع، قال الحافظ في الفتح: (وأصل الحد ما يحجز بين شيئين، فيمنع اختلاطهما، وحد الدار ما يميزها، وحد الشيء: وصفه المحيط به المميز له عن غيره). [(١)]

وفي الاصطلاح: عقوبة مقدرة في الشرع، وجبت حقا لله تعالى، كما في الزنا، أو اجتمع فيها حق الله وحق العبد، كالقذف، فليس منه التعزير لعدم تقديره شرعا، ولا القصاص، لأنه حق خالص للآدمي. [(٢)]

ويطلق لفظ الحد على جرائم الحدود مجازا، فيقال: ارتكب الجاني حدا، ويقصد أنه ارتكب جريمة ذات عقوبة مقدرة شرعا.

والحدود ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع العلماء في الجملة، ويقتضيها القياس الصحيح والمعقول، فهي جزاء لما انتهكه العاصي من محارم الله تعالى، ويقيمها ولي الأمر أو نائبه.

فأما الكتاب فمنه قوله تعالى: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة} (النور:٢).

وأما السنة فمنها:

حديث عائشة: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبّ رسول الله صلى الله

---

(١) فتح الباري: ١٢/٦٨، ط: بيروت.

(٢) صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، لأبي مالك كمال بن السيد سالم: ٤/٤.

عليه وسلم؟! فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتشفع في حد من حدود الله؟" ثم قام فاختطب فقال: "يا أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". [١]

وأما المعقول: فلما كانت طبيعة البشر مائلة إلى اقتناص الملاذّ، وتحصيل مقصودها، من شرب وزنا وقذف وسفك للدماء، اقتضت حكمة الله تعالى شرع هذه الحدود حسما للفساد، وزجرا عن ارتكابه، لأن إخلاء المجتمع عن إقامة الرادع يؤدي إلى انحرافه، فالمقصد الأصلي من شرع الحدود الانزجار عما يتضرر به العباد. [٢]

وفي فضل إقامة الحدود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إقامة حد بأرض، خير لأهلها من مطر أربعين ليلة". [٣]

وجرائم الحدود معينة ومحدودة العدد وهي سبع جرائم: الزنا والقذف وشرب الخمر والسرقة والحرابة والردة والبغي، وقال الحافظ في الفتح: (وقد حصر بعض العلماء ما قيل بوجوب الحد به في سبعة عشر شيئا، فمن المتفق عليه الردة والحرابة ما لم يتب قبل القدرة والزنا والقذف وشرب الخمر سواء أسكر أم لا والسرقة). [٤]

فالحافظ ترك حد أهل البغي لأنه بسط الكلام عن هذا في شرح أحاديث "كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم". [٥]

الجريمة الأولى:

هو الزنا حده مائة جلدة، والتغريب لعام، إذا كان الزاني غير محصن، وللمحصن رجم بالحجارة، بدليل قوله تعالى: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" (النور:٢) ولحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم". [٦]

---

[١] أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).
[٢] ابن عابدين: ٣/١٤٠، وفتح القدير: ٥/٣.
[٣] أخرجه النسائي (٤٩٠٥) وقال الألباني: حسن، انظر الصحيحة (٢٣١).
[٤] الفتح: ١٢/٦٨.
[٥] انظر الفتح: ١٢/٣٤١–٣٥٠، رقم الكتاب (٨٨) والبابين: الثالث والسادس (باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، وباب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم).
[٦] أخرجه مسلم (١٦٩٠).

ولكن الجلد ساقط عن الثيب، لما ثبت في قصة ماعز بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أحصنتَ؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: "اذهبوا به فارجموه"[١]. ولقصة رجل زنا بامرأة من كان عليه عسيفا، وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها. فغدا عليها فاعترفت، فرجمها". [٢]

وحكمة التشريع في حد الزنا أنه يشيع الفوضى الجنسية في بيئات الإنسان، ويظهر الشخص منتكسا قذرا كالحيوان، وما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب وهلاك الحرث والنسل، ويفتح إثارة الأحقاد وتهديد بنيان الأسرة والذرية، ويفتح على العبد أبوابا من المعاصي بأنه يُجَرِّئه على قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وكسب الحرام وظلم الخلق وإضاعة أهله وعياله، وربما استعان عليه بالشرك وبالسحر، ويورث الفقر والمسكنة، ويولد سيماء الفساد في وجه فاعله ووحشته من الناس، وينشئ الأمراض النفسية والقلبية والإيدز الذي أعيى الأطباء علاجه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (هذه المعصية محفوفة بجند من المعاصي قبلها وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة). [٣]

فنظرا إلى هذه المفاسد لن ينكر أحد حكمة حد الزنا، اللهم إلا أن يكون منكوس العقل ديوثا فاسقا، لا غيرة له على أهله.

وكان الرجم مذكورا في القرآن الكريم، ثم نسخ لفظه وبَقِيَ حكمه، وذلك في قوله تعالى: "الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم".[٤]

ومع ثبوت الرجم بالقرآن المنسوخ لفظه دون حكمه، وبالسنة المتواترة والإجماع، قد تجرأ الخوارج ومن في حكمهم من بعض الكُتَّاب [٥] في زماننا هذا إلى إنكار الرجم، تبعا لأهوائهم، ورفضا للأدلة الشرعية وإجماع المسلمين.

---

[١] البخاري مع الفتح (٦٨٢٥) ١٢/١٦٤.

[٢] المرجع السابق (٦٨٢٧، ٦٨٢٨) ١٢/١٦٥.

[٣] الحدود والتعزيرات عند ابن القيم "دراسة وموازنة" لبكر أبي زيد: ١٠٢-١٠٣.

[٤] أخرجه من حديث عمر: ابن ماجه (٢٥٥٣) [٣/٢٢٥] الحدود ٩، وأصله متفق عليه: البخاري (٦٨٣٠) [١٢/١٧٨] الحدود ٣٠، ومسلم (٤٣٩٤) [٦/١٩١] الحدود ٤.

[٥] مثل د/عناية الله سبحاني (هداه الله) المدرس سابقا بجامعة الفلاح بلرياغنج أعظم كره في كتابه "حقيقت رجم" بالأردية، فقد ردّ عليه ردا جميلا أحد تلاميذه وهو الشيخ أنيس أحمد الفلاحي، المدني، وسمى كتابه أيضا "حقيقت رجم"؟ فجزاه الله أحسن الجزاء.

وكما يجب الحد بالزنا إذا توفرت شروط إقامته[1] كذلك يجب الحد باللواط، وهو فعل الفاحشة في الدبر، وهو جريمة خبيثة، وشذوذ مخالف للفطرة السليمة.

قال الله تعالى في قوم لوط: "أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون". (الأعراف: ٨٠-٨١) وتحريمه معلوم بالكتاب والسنة والإجماع.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به".[2] وفي رواية: "فارجموا الأعلى والأسفل".[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الصحيح الذي عليه الصحابة أنه يقتل الاثنان: الأعلى والأسفل، إن كانا محصنين أو غير محصنين). قال: (ولم يختلف الصحابة في قتله، وبعضهم يرى أنه يرفع على أعلى جدار في القرية، ويلقى، ويتبع بالحجارة).[4]

ومن اللوطية: إتيان الرجل زوجته في دبرها، قال الله تعالى: "فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين". (البقرة: ٢٢٣)

قال علي بن أبي طلعة عن ابن عباس: "فأتوهن من حيث أمركم الله" يقول: في الفرج، ولا تعدوه إلى غيره، فمن فعل شيئا من ذلك، فقد اعتدى.

يقول الدكتور العلامة صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله تعالى- (ومثل هذا يجب أن يعاقب عقوبة رادعة، فإن استمر على فعل هذه الجريمة وجب على زوجته طلب مفارقته والابتعاد عنه، لأنه نذل سافل، لا يصلح لها البقاء معه على هذه الحال).[5]

الجريمة الثانية: هو القذف وهو لغة، كما قال ابن منظور: هو الرمي بقوة.[6]

وفي الاصطلاح: هو الرمي بزنا أو لواط، أو نفي نسب موجب للحد فيهما.[7] وحده ثمانون جلدة للحر، وأربعون جلدة للعبد، لقوله تعالى: "والذين يرمون المحصنات ثم لم

---

[1] ومن شروط وجوب إقامة الحد على الزاني: أن يُقِرَّ به أربع مرات، وذلك لحديث ماعز بن مالك رضي الله عنه في البخاري (٦٨٢٥) أو أن يشهد به عليه أربعة شهود، لقوله تعالى: "لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء" [النور: ١٣].

[2] أخرجه الترمذي (١٤٥٦) وقال الألباني: صحيح.

[3] أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢٥٦٢) وقال الألباني: حسن.

[4] انظر: فتاوى شيخ الإسلام: ٢٨/٣٦١.

[5] الملخص الفقهي ص: (٥٣٥).

[6] لسان العرب: ٩/٢٧٦.

[7] مختصر الفقه الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ص: (٩١٠).

يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون" (النور: ٤) وأما كون حده أربعين جلدة للعبد فهو قول الجمهور من الأئمة الأربعة وغيرهم، قالوا: لأنه حد يتنصف بالرق كالزنا.[١] وقد قال الله تعالى: "فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب". (النساء: ٢٥).

وتقبل شهادة القاذف إذا تاب وقد حُدّ للقذف، وهو مذهب الجمهور، منهم مالك والشافعي وأحمد وجماعة من السلف، منهم سعيد بن المسيب، وعليه عمل الصحابة رضي الله عنهم.[٢]

وحكمة التشريع في حد القذف تكذيب للقاذف، وتبرئة للمقذوف، وتعظيم لشأن هذه الفاحشة التي تبهرج المجتمع وتلطّخه بالعار والمعرة، ولا سبيل للمقذوف ظلما إلى نفي ما قذف به من الزنا إلا بمجرد التكذيب للقاذف، وهذا غير مقنع لنفوس البشر ولا يكون مذهبا لتشعب ظنونهم فجعل الله حد الفرية.

الجريمة الثالثة: شرب الخمر أو أي نوع من الأشربة يجعل صاحبه سكرانا، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (الخمر ما خامر العقل).[٣] فكل شيء يستر العقل يسمّى خمرا، لأنها سُمّيت بذلك لمخامرتها للعقل أي: سَتْرها له.

وهذا قول جمهور أهل اللغة.[٤]

ومصدر تحريمها الكتاب والسنة والإجماع.

قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون". (المائدة: ٩٠)

وفي الصحيحين وغيرهما: "كل شراب أسكر فهو حرام"[٥]، فكل شراب أسكر كثيره فقليله حرام، وهو خمر من أي شيء كان، وكذلك المخدرات بجميع أنواعها (الحشيشة والأفيون والهيروين وغيرها محرمة، وهي خمر، لأنها مسكرة تغيب العقل، وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك.

---

[١] صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، لأبي مالك كمال بن السيد سالم: ٤/٦٤.

[٢] المرجع السابق: ٤/٦٧.

[٣] متفق عليه: البخاري (٥٥٨١) [١٠/٤٥] الأشربة ٢، ومسلم (٧٤٧٥) [٩/٣٦٠] التفسير ٦.

[٤] الملخص الفقهي ص: (٥٤١).

[٥] متفق عليه من حديث عائشة: البخاري (٢٤٢) ومسلم (٥١٧٩) [٧/١٧٠].

وقد نص على تحريمها فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم، ولا خلاف في ذلك، لكنهم لا يرون فيها الحد، بل يقولون بالتعزير، ويرى بعضهم أن الحرمة إنما هي في تعاطي القدر المسكر.[١]

ومقدار حد الخمر ثمانون جلدة، لأن عمر رضي الله عنه استشار الناس في حد الخمر، فقال عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه -: (اجعله كأخف الحدود ثمانين) فضرب عمر ثمانين".[٢]

وروى البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرة أبي بكر فصدرا من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان آخر امرة عمر، فجلد أربعين، حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين".[٣]

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى: (الحق أن عمر حد الخمر بحد القذف، وأقره الصحابة).[٤]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (حد الشرب ثابت بالسنة وإجماع المسلمين أربعون، والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة إذا أدمن الناس الخمر وكانوا لا يرتدعون بدونها).

وقال: (الصحيح أن الزيادة على الأربعين إلى الثمانين ليست واجبة على الإطلاق، ولا محرمة على الإطلاق، بل يُرجع فيها إلى اجتهاد الإمام، كما جوّزنا له الاجتهاد في صفة الضرب فيه ...).[٥]

وسبب جعل الصحابة – رضي الله عنهم – حده ثمانين، كما قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي: (إما لأنه أخف حد في كتاب الله وإما لأن الشارب يقذف غالبا إن لم يكن زنى أو قتل).[٦]

ويثبت حد الخمر بإقرار الشارب أو بشهادة عدلين.[٧]

---

[١] صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، لأبي مالك كمال بن السيد سالم: ٤/٧٦–٧٧.
[٢] مسلم (١٧٠٦) والدارقطني (٣٢٩٠) وأبو داود (٤٤٨٩).
[٣] البخاري مع الفتح (٦٧٧٩) (١٢/٧٨).
[٤] زاد المعاد (٥/٤٤) (بتصرف).
[٥] فتاوى شيخ الإسلام (٣٤/٢٩٩).
[٦] حجة الله البالغة ص: (٧٧٢).
[٧] الملخص الفقهي ص: (٥٤٣).

وحكمة التشريع في حدها أنها تدعو إلى جلب الهموم، وتضييق الأرزاق، وتجر إلى الوقوع في ارتكاب المعاصي كلها، وتوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة. قال أحد أطباء الألمان: (إن السكور يكون كالهرم جسما وعقلا، ومن الأمراض التي تصيبه مرض الكبد والكلى وداء السل الذي يفتك في البلاد الأوربية فتكا ذريعا على عناية أهلها بقوانين الصحة ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه، وقد قيل إن نحو نصف الوفيات في بعض بلاد أوربا بداء السل).

ومن مضرات الخمر ضعف الذاكرة والحافظة وذهاب العقل وإفشاء السر وهلك النسل والعُقم، وربما يقع السكران على الشارع حتى في البالوعات، ويستخف به كل من يراه حتى الصبيان، ونُقل عن السكارى نوادر غريبة، ومما ذكر عن المحدثين أن ابن أبي الدنيا — رحمه الله تعالى — مر بسكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضيء ويقول: الحمد لله الذي جعل الإسلام نورا والماء طهورا.

يقول أحد الشعراء:

شربت الخمر حتى ضلّ عقلي كذاك الخمر تفعل بالعقول

وقال العلامة رشيد رضا في تفسيره "المنار": (لا يوجد إثم من الآثام يدخل ضرره في كل شيء كالخمر من الأفعال والكذب من الأقوال).

وكفى بشرها وفسادها وخبثها وقبحها أنها أم الخبائث، وأن كل من له علاقة بها أي علاقة ملعون من الله ورسوله، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم فيها عشرة، حيث قال: "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه". [1]

وقد تفطن لخطر الخمر رجال الفكر في الغرب، ونادوا في أمريكا بوجوب منعها، وقد نادوا أيضا بتشديد العقاب على شربها.

(يتبع)

***

[1] أخرجه من حديث ابن عمر: أبو داود (٣٦٧٤) [٤/٥٥] الأشربة ٢، واللفظ له، وابن ماجه (٣٣٨١) [٤/٦٤] الأشربة ٦، وأخرجه الترمذي (١٢٩٥) البيوع ٥٩، من حديث أنس بلفظ: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم..." وقال الألباني: حسن صحيح.

شخصيةإسلامية

سطور بيضاء من حياة فاعل الخير وداعمه

الأمير نايف بن عبد العزيز.. مشعل النور في خدمة الإسلام وأهله

فجعت الأمة الإسلامية والعالم يوم السبت ٢٦/رجب ١٤٣٣هـ = ١٦/يونيو ٢٠١٢م بوفاة ولي العهد السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – وأسكنه فسيح جناته، وقد أدى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله مع جموع المصلين صلاة الجنازة كما أدى الصلاة على الفقيد إخوانه الأمراء وأبناءه وأبناء إخوانه ومفتي عام المملكة وأعضاء المجلس التأسيسي للرابطة.

والأمير نايف – رحمه الله – من القيادات الإسلامية التي عنيت بالعمل الإسلامي على أصعدته المتنوعة: الفكري – الأمني – الإغاثي – السياسي – الإسلامي – التربوي – التعليمي.

لم يبق هناك من مجال يمكن أن يخدم فيه الإسلام وليس للأمير نايف يد في الإسهام فيه.

السطور التالية تتحدث عن نايف الخير والفعل، فذكرها الأثر بقول اذكروا محاسن موتاكم.

ولد صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية – رحمه الله تعالى – في مدينة الطائف عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٤م ونشأ في كنف والده مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه – وتلقى سموه تعليمه على أيدي مجموعة من كبار علماء العلوم الشرعية، والآداب والشعر العربي الفصيح، والعلوم السياسية والدبلوماسية والإدارة مستفيدا من رؤية والده المؤسس الذي عرف عنه منهجه المميز في التربية والتعامل مع الأبناء.

وتولى سموه العديد من المناصب والمهام هي:

- ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية ١٤٣٢/١١/٢٩هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ٢٠١١م.

- النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ٣٠ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٧ مارس ٢٠٠٩م.
- وزير الداخلية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- وزير دولة للشؤون الداخلية ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م.
- نائب وزير الداخلية بمرتبة وزير ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- نائب وزير الداخلية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- أمير منطقة الرياض ١٣٧٢ - ١٣٧٤هـ/١٩٥٣–١٩٥٤م.
- وكيل إمارة منطقة الرياض ١٣٧١–١٣٧٢هـ/١٩٥١–١٩٥٢م.

ورأس صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز – رحمه الله – العديد من اللجان والمجالس كما كان عضوا في عدد آخر من المجالس واللجان من أبرزها:

- رئيس مجلس إدارة صندوق التنمية البشرية عام ١٤٢١هـ.
- الرئيس الفخري للجمعية السعودية للإعلام والاتصال عام ١٤٢١هـ.
- الرئيس الفخري للجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأسر السعودية في الخارج (أواصر).
- المشرف العام على اللجان والحملات الإغاثية والإنسانية بالمملكة العربية السعودية.
- رئيس لجنة النظام الأساسي لنظام الحكم ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق عام ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢م.
- رئيس مجلس القوى العاملة عام ١٤١١هـ.
- المشرف على هيئة التحقيق والادعاء العام عام ١٤٠٩هـ.
- الرئيس الفخري لمجلس وزراء الداخلية العرب عام ١٤٠٤هـ.

ورأس الأمير نايف فخريا مجلس وزراء الداخلية العرب الذي تم من خلاله إقرار العديد من المشاريع والاتفاقيات الأمنية بما يخدم أمن الإنسان العربي من أهمها:

- الاستراتيجية الأمنية العربية في بغداد عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الخطة العربية الأمنية الوقائية في تونس عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الموقعة من قبل وزراء الداخلية والعدل العرب عام ١٩٩٨م.

- مشروع الاستراتيجية العربية لمكافحة الاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية.
- رئيس المجلس الأعلى للإعلام عام ١٤٠١هـ.
- رئيس الهيئة العليا للأمن الصناعي عام ١٣٩٧هـ.
- رئيس مجلس إدارة جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية عام ١٣٩٧هـ.
- رئيس مجلس أمراء المناطق عام ١٣٩٥هـ.
- رئيس المجلس الأعلى للدفاع المدني عام ١٣٨٧هـ.
- رئيس لجنة الحج العليا عام ١٣٨٥هـ.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- نائب رئيس الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها.
- رئيس المجلس الأعلى للسياحة.

وركزت رؤية سموه في تطوير قطاعات وزارة الداخلية على:

- تطوير القدرات البشرية بالتعليم والتدريب المستمر.
- عصرية الإدارة وتحديث الأنظمة بكل ما هو جديد.
- الاهتمام بالبنى التحتية.
- التطوير والتحديث التقني المستمر.
- لقد أثمرت جهوده –رحمه الله– عن تنمية شاملة لقطاعات العمل الأمني التي منها (المديرية العامة للدفاع المدني – المديرية العامة لحرس الحدود – المديرية العامة للأمن العام – المديرية العامة للمباحث – المديرية العامة للسجون – قوات الأمن الخاصة – المديرية العامة للجوازات – قوات أمن المنشآت – المديرية العامة لمكافحة المخدرات).

كما أولى سموه اهتماما بالملفات الأمنية والعمل على تطويرها بوصفها شراكة بين المواطن والمؤسسات الأمنية. ومن ذلك:

أولا: المعالجات الفكرية لقضايا التطرف والإرهاب:

محاربة الفكر بالفكر أجدى وأنفع من محاربته بالسلاح والقوى فقط، وعليه فقد تمت الموافقة على:

- تأسيس إدارة خاصة في عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م تحت مسمى إدارة الأمن الفكري ضمن تنظيم وزارة الداخلية الإداري.
- تأسيس وتمويل كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود في عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
- تمويل كرسي الأمير نايف لدراسات الوحدة الوطنية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.
- تشجيع ودعم عشرات الدراسات والأبحاث الخاصة بظاهرة التطرف وارتباطاتها.
- تشكيل فريق عمل من أساتذة الجامعات لوضع خطط إستراتيجية للأمن الفكري العربي.
- تكليف فريق عمل كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري لوضع استراتيجية وطنية شاملة للأمن الفكري في عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ثانيا: مكافحة المخدرات:

استراتيجية العمل المؤسسي في مكافحة المخدرات:

- تأسيس الإدارة العامة لمكافحة المخدرات في جهاز الوزارة مع إدارة أمنية متخصصة في الأمن العام (استقلت إلى قطاع) لمواجهة هذه الظاهرة على كل المستويات.
- تأسيس اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات في ١٤٢٨هـ.
- عقد عدد من الاتفاقيات الثنائية والإقليمية الدولية بما يحد من انتشار هذه الآفة وتفاقمها.

وبرزت جهود سمو الأمير نايف بن عبد العزيز – رحمه الله – على المستويين العربي والدولي فيما يلي:

عربيا:

- الإشراف على لجان وحملات الإغاثة والعمل الإنساني لمشاريع التبرعات الشعبية والحكومية التي تتبناها وتقدمها المملكة للشعوب العربية المتعددة.
- دعم جهود الإغاثة للشعب الفلسطيني.

- اعتماد وتنفيذ العديد من المشروعات الإنسانية للمتضررين في الحروب.
- تقديم المساعدات الغذائية ودعم الأسر الفقيرة والجرحى والمعوقين وكفالة الأيتام ودعم التعليم الجامعي، وبناء المساكن الخيرية، وتقديم الأدوية والمستلزمات الطبية وبناء المراكز المتخصصة لعلاج الأورام السرطانية.

دوليا:

- دعم الجهود الإغاثية للشعب الأفغاني.
- إنشاء اللجنة السعودية لإغاثة كوسوفا والشيشان.
- إغاثة المتضررين من كارثة تسونامي في إندونيسيا.
- إغاثة المتضررين من الزلازل والفيضانات في الدول المتضررة.
- وفي مجال خدمة العلم والمعرفة لسموه العديد من الجهود ومنها:

١– جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

رأس سموه مجلس إدارة جامعة نايف للعلوم الأمنية التي نهضت بتطوير الخبرات الأمنية والعدلية وتقديم برامج ومؤتمرات دولية تستفيد منها الدول العربية. وتمنح شهادات الدبلوم والماجستير والدكتوراه.

٢– جائزة السنة النبوية:

جائزة عالمية مخصصة لدعم الباحثين والعلماء في مجالات السنة وعلومها.

٣– مسابقة الأمير نايف بن عبد العزيز لحفظ الحديث النبوي:

مسابقة تعني بحفظ الحديث الشريف في عام ٢٠٠٦م.

٤- إنشاء الكراسي العلمية محليا ودوليا:

- كرسي الأمير نايف للوحدة الوطنية
- كرسي الأمير نايف للأمن الفكري
- كرسي الأمير نايف للقيم الأخلاقية.

٥– المنح العلمية:

يتلقى عدد من الطلاب دراساتهم العليا داخل المملكة وخارجها بمنح علمية من سموه – رحمه الله – في تخصصات مختلفة.

٦– دعم الجمعيات العامة والعلمية:

دعم سموه نشاطات العديد من المؤسسات العلمية والعامة منها (الجمعية الوطنية للمتقاعدين، الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأسر السعودية في الخارج "أواصر"، الجمعية السعودية للاتصال والإعلام).

٧-الأقسام العلمية:

إنشاء قسم الدراسات الإسلامية بجامعة موسكو ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ورعى سموه -رحمه الله- العديد من الجوائز والمؤتمرات والفعاليات العلمية والوطنية منها:

- جائزة السنة النبوية ومسابقة حفظ الحديث النبوي الشريف.
- جائزة الأمير نايف للسعودة.
- مؤتمر ومعرض الصحة والسلامة المهنية الثاني الذي تنظمه المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية.
- الندوة الثانية للإصلاح والتأهيل في المؤسسات الإصلاحية تحت شعار (السجين والمجتمع).
- المنتدى الإعلامي السنوي للجمعية السعودية للإعلام والاتصال.
- المنتدى الدولي للشراكة المجتمعية في مجال البحث العلمي.
- الندوة السنوية (الأمن مسؤولية الجميع).
- الندوة السنوية: المجتمع والأمن.
- مؤتمر الأسر السعودية والتغيرات المعاصرة.
- المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري- جامعة الملك سعود.
- ملتقى الدراسات الدعوية وندوة ترجمة السنة النبوية.
- المؤتمر الوطني الـ١٩ للحاسب في جامعة الملك سعود بعنوان الاقتصاد الرقمي وصناعة تكنولوجيا المعلومات.
- المؤتمر الإسلامي الثاني لوزراء البيئة.
- المؤتمر الأول لشعبة الهندسة الصناعية في الهيئة السعودية للمهندسين.
- مؤتمر (سلامة وصحة الحجيج).
- المؤتمر الدولي الأول للسياحة والحرف اليدوية.

- مؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب.
- المؤتمر العربي الثاني لرؤساء النيابات العامة.
- المؤتمر العربي السابع لرؤساء أجهزة الإعلام والاجتماع المشترك مع وسائل الإعلام العربية.
- وتقلد سموه العديد من الأوسمة وحصل على الكثير من الشهادات ومن ذلك:
- وشاح السحاب من جمهورية الصين عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- وسام جوقة الشرف من جمهورية فرنسا عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- وسام المحرر الأكبر من جمهورية فنزويلا عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- وسام الكوكب من المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الدكتوراه الفخرية في القانون من جامعة (شنغ تشن) في الصين الوطنية في ١٧/٨/١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- وشاح الملك عبد العزيز من الطبقة الأولى وهو أعلى وسام في المملكة العربية السعودية.
- وسام الأمن القومي من جمهورية كوريا الجنوبية عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الدكتوراه الفخرية في القانون من كوريا الجنوبية.
- درجة الدكتوراه الفخرية في العلوم السياسية من الجامعة اللبنانية عام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، وذلك في ختام الدورة الـ٢٦ لمجلس وزراء الداخلية العرب في بيروت.
- درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة أم القرى في السياسة الشرعية.
- وسام الأرز من الجمهورية اللبنانية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- الدكتوراه الفخرية من جامعة الرباط في جمهورية السودان.

رحم الله صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وأسكنه فسيح جناته.

***

آداب الطالب في حياته العلمية

(٤)

د. بكر بن عبد الله أبو زيد

٢٤– كبر الهمة في العلم:

من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، مركز السالب والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحك، كبر الهمة يجلب لك بإذن الله خيرا غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال، فيُجري في عروقك دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفا إلا على أبواب الفضائل ولا باسطا يديك إلا لمهمات الأمور. والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان، والتملق، والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش لا ترهبه المواقف، وفاقدها جبان رعديد تغلق فمه الفهاهة، ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكبر، فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

كِبَر الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكبر داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء.

فيا طالب العلم ارسم لنفسك كبر الهمة، ولا تنفلت منها وقد أومأ الشرع إليها في فقهيات تلابس حياتك لتكون دائما على يقظة من اغتنامها، ومنها: إباحة التيمم للمكلف عند فقد الماء وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء لما في ذلك من المنة التي تنال من الهمة منالا، وعلى هذا فقس [1] والله أعلم.

٢٥– النهمة في الطلب:

إذا علمت الكلمة المنسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قيمة كل امريء ما يحسنه – وقد قيل:

ليس كلمة أحض على طلب العلم منها – فاحذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر. وصوابه: كم ترك الأول للآخر. فعليك بالاستكثار من ميراث النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[1] السعادة العظمى لمحمد الخضر حسين ص٧٦–٧٨.

وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فتذكر "كم ترك الأول للآخر".

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من "تاريخ بغداد" للخطيب ذكر من قصيدة له:

لا يكون السري مثل الدني لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء كلما أحسن المر ء قضاء من الإمام علي

٢٦- الرحلة للطلب:

"من لم يكن رُحلة لن يكون رِحلة" [١]، فمن لم يرحل في طلب العلم للبحث عن الشيوخ والسياحة في الأخذ عنهم، فيبعد تأهله ليرحل إليه، لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم، والتلقي عنهم لديهم من التحريرات، والضبط، والنكات العلمية، والتجارب، ما يعز الوقوف عليه، أو على نظائره في بطون الأسفار.

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين الذين يفضلون "علم الخرق على علم الورق".

وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق، فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق.

وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

فاحذر هؤلاء فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، بل فيهم من كان بأساً وبلاء على الإسلام.

٢٧- حفظ العلم كتابة [٢]:

ابذل الجهد في حفظ العلم "حفظ كتاب" فلأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن وضعف القوى يكون لديك مادة تستجر منها مادة تكتب فيها بلا

---

[١] تذكرة السامع والمتكلم.

[٢] الجامع للخطيب ٢/١٦، ١٨٣-١٨٥.

عناء في البحث والتقصي، ولذا فاجعل لك "كناشا"[1] أو "مذكرة" لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك فحسن، ثم تنقل ما يجتمع لك بعد في مذكرة مرتبا له على الموضوعات، مقيدا رأس المسألة واسم الكتاب ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قيدته "نُقل" حتى لا يختلط بما لم ينقل، كما تكتب "بلغ صفحة كذا" فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة.

وللعلماء مؤلفات عدة في هذا منها: بدائع الفوائد لابن القيم، وخبايا الزوايا للزركشي، ومنها: كتاب (الإغفال)، و (بقايا الخبايا)، وغيرها.

وعليه فقيد العلم بالكتاب، لاسيما بدائع الفوائد في غير مظانها وخبايا الزوايا في غير مساقها، ودررا منثورة تراها وتسمعها تخشى فواتها. وهكذا، فإن الحفظ يضعف، والنسيان يعرض. قال الشعبي "إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في الحائط" رواه خيثمة، وإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع فرتبه في "تذكرة" أو "كناش" على الموضوعات، فإنه يسعفك في أضيق الأوقات، التي قد يعجز عن الإدراك فيها كبار الأثبات.

٢٨- حفظ الرعاية:

ابذل الوسع في حفظ العلم "حفظ رعاية" بالعمل والاتباع، قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى[2]:

(يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده وجه الله سبحانه.

وليحذر أن يجعله سبيلا إلى نيل الأعراض، وطريقا إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه.

وليتق المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأتباع وعقد المجالس، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه.

---

[1] الكُناش: بضم الكاف، وتخفيف النون وشين معجمة على وزن: غراب، لفظ سرياني بمعنى: المجموعة، والتذكرة. وانظر التراتيب الإدارية ٢/٢٧٠.

[2] الجامع للخطيب ١/٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ١٤٢.

وليجعل حفظه للحديث: حفظ رعاية، لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير، ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء، إذ كان في اطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

وينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} اهـ.

٢٩- تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن طلقها ذهبت. "رواه الشيخان ومالك في الموطأ".

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله [1]:

(وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه، ذهب عنه أي من كان، لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إن لم يُتَعاهد، فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة، وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى، ودل على ما يرضاه) اهـ.

وقال بعضهم [2]: (كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل مصيره) اهـ.

٣٠- التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

من وراء الفقه: التفقه، ومعتمله هو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [3]:

"نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها، ووعاها فأدركها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

---

[1] التمهيد ١٤/١٣٣-١٣٤.

[2] شرح الإحياء ١/٩٣.

[3] فهرست ابن خير ص٩.

قال ابن خير رحمه الله تعالى في فقه هذا الحديث:

(وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التفهم، وفي ضمنه بيان وجوب التفقه، والبحث على معاني الحديث واستخراج المكنون من سره) اهـ.

وللشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، في ذلك القِدح المعلى، ومن نظر في كتب هذين الإمامين: سلك به النظر فيها إلى التفقه طريقا مستقيما، ومن مليح كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قوله في مجلس للتفقه [1]:

(أما بعد: فقد كنا في مجلس التفقه في الدين، والنظر في مدارك الأحكام المشروعة تصويرا، وتقريرا، وتأصيلا وتفصيلا، فوقع الكلام في... فأقول لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا مبني على أصل وفصلين...).

واعلم أرشدك الله أن بين يدي التفقه: التفكر [2]، فإن الله سبحانه وتعالى دعا عباده في غير ما آية من كتابه إلى التحرك بإحالة النظر العميق في "التفكر" في ملكوت السماوات والأرض وإلى أن يمعن المرء النظر في نفسه وما حوله فتحا للقوى العقلية على مصراعيها وحتى يصل إلى تقوية الإيمان وتعميق الأحكام، والانتصار العلمي {وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون}، {قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون} وعليه فإن "التفقه" أبعد مدى من "التفكر"، إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)، لكن هذا التفقه محجوز بالبرهان، محجور عن التشهي والهوى {ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}.

فيا أيها الطالب تحل بالنظر والتفكر، والفقه والتفقه، لعلك أن تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى "فقيه النفس" كما يقول الفقهاء، وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، أو "فقيه البدن" كما في اصطلاح المحدثين [3]، فأجل النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط واجمع للنظر في فرع ما بين تتبعه وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة كقواعد المصالح ودفع الضرر والمشقة، وجلب

---

[1] مجموع الفتاوى ٢١/٥٣٤.

[2] مفتاح دار السعادة ص١٩٦–٣٢٤، ومدارج السالكين ١/١٤٦، التفسير الإسلامي للتاريخ لعماد الدين خليل ص٢١٠–٢١٥.

[3] وانظر عن قولهم "فقيه البدن" معالم الإيمان ٢/٣١٦، ٣٣٦، ٣٤٠ والثقات لابن حبان ٩/٢٤٢.

التيسير، وسد باب الحيل، وسد الذرائع، وهكذا هديت لرشدك أبدا، فإن هذا يسعفك في مواطن المضايق.

وعليك بالتفقه كما أسلفت في نصوص الشرع، والتبصر فيما يحف أحوال التشريع، والتأمل في مقاصد الشريعة، فإن خلا فهمك من هذا، أو نبا سمعك فإن وقتك ضائع، وإن اسم الجهل عليك لواقع.

وهذه الخلة بالذات هي التي تعطيك التمييز الدقيق، والمعيار الصحيح، لمدى التحصيل والقدرة على التخريج. فالفقيه هو من تعرض له النازلة لا نص فيها فيقتبس لها حكما. والبلاغي ليس من يذكر لك أقسامها وتفريعاتها، لكنه من تسري بصيرته البلاغية في كتاب الله، مثلا فيخرج من مكنون علومه وجوهها، وإن كتب أو خطب نظم لك عقدها، وهكذا في العلوم كافة.

٣١ـ اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل:

لا تفزع إذا لم يفتح لك في علم من العلوم، فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك كما يعلم من تراجمهم، ومنهم:

الأصمعي في علم العروض، والرهاوي المحدث في الخط، وابن الصلاح في المنطق، وأبو مسلم النحوي في علم التصريف، والسيوطي في الحساب، وأبو عبيدة، ومحمد بن عبدالباقي الأنصاري، وأبو الحسن القطيعي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو حامد الغزالي، خمستهم لم يفتح لهم بالنحو.

فيا أيها الطالب! ضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول في دعائه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى: اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني، فيجد الفتح في ذلك[1].

(يتبع)

***

[1] فتاوى ابن تيمية ٤/٣٨.

من أخبار الجامعة

العام الدراسي الجديد بالجامعة السلفية، بنارس

بدأ العام الدراسي الجديد (١٤٣٤-١٤٣٣هـ = ٢٠١٣-٢٠١٢م) بالجامعة السلفية بنارس من يوم السبت: ٢/ شعبان ١٤٣٣هـ = ٢٣/ يونيو ٢٠١٢م. وحسب الإعلان تم عقد اختبارات القبول في يومي الاثنين والثلاثاء ٤-٥/شعبان ١٤٣٣هـ = ٢٥-٢٦/يونيو ٢٠١٢م، حيث جرى في اليوم الأول الاختبار التحريري للمتقدمين، وفي اليوم الثاني عقد لهم الاختبار الشفوي. وأعلن في ظهر اليوم نفسه عن أسماء المقبولين.

وبعد الإجراءات اللازمة بدأت الدراسة النظامية في الجامعة من يوم الخميس: ٧/ شعبان ١٤٣٣هـ = ٢٨/يونيو ٢٠١٢م.

ولإعادة النظر في أنظمة التعليم وتربية الطلاب بالجامعة تم عقد اجتماع مسؤولي الجامعة مع المدرسين في الساعة ٣٠/ ١١ ظهرا في يوم الثلاثاء ١٢/ شعبان ١٤٣٣ هـ، بقاعة الاجتماعات، برئاسة فضيلة الشيخ شاهد جنيد محمد فاروق، حفظه الله، رئيس الجامعة السلفية، وأدار هذا الاجتماع فضيلة الشيخ عبدالله سعود بن عبدالوحيد الأمين العام للجامعة، وتم البحث في الاجتماع عن سبل تنشيط التعليم والرقي بمستواه، وكذلك عن الأمور المتعلقة بتربية الطلاب.

هذا، وقد أعلنت إدارة الجامعة أن إجازة رمضان المبارك وعيد الفطر ستبدأ بإذن الله من يوم الأربعاء: ٢٧/شعبان ١٤٣٣هـ = ١٨/يوليو ٢٠١٢م، وتستمر إلى ٨/شوال المكرم ١٤٣٣ هـ = ٢٧/أغسطس ٢٠١٢م، حيث تبدأ الدراسة بعد عيد الفطر من يوم الثلاثاء: ٩/شوال المكرم ١٤٣٣هـ = ٢٨/أغسطس ٢٠١٢م إن شاء الله تعالى.

***